



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا

عطاالله حنا القسيس

رسالة ماجستير

القدس / فلسطين

1436هـ / 2015م

تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا

إعداد

عطاالله حنا القسيس

بكالوريوس إدارة فنادق من جامعة بيت لحم

إشراف:

الدكتور أحمد فارس عودة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإقليمية - قسم الدراسات الآسيوية.

القدس/فلسطين

1436هـ/2015م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

معهد الدراسات الإقليمية

إجازة الرسالة

تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا

اسم الطالب: عطاالله حنا جريس القسيس

الرقم الجامعي: 21212672

المشرف: الدكتور أحمد فارس عودة

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ 2015/3/1 من اعضاء لجنة المناقشة المدرجة
أسمائهم وتوافقهم:

1- رئيس لجنة المناقشة: د. أحمد فارس عودة التوقيع 

2- ممتحنا داخليا: د. سامي مسلم التوقيع 

3- ممتحنا خارجيا: د. عبد الرحمن الحاج التوقيع 

القدس - فلسطين

1436هـ/2015م

إقرار

اقر انا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإقليمية، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد. كما اقر أن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

عطاالله حنا جريس القسيس

التوقيع:

التاريخ:

شكر وتقدير

بعد شكر الله-سبحانه وتعالى- أن وفقني في إتمام هذا العمل، أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأول الدكتور أحمد فارس عودة، على ما بذله من جهد في التوجيه والإشراف على هذه الرسالة، وعلى مشاعره النبيلة في تفهم الظروف التي مررت بها، وإلى أعضاء لجنة التحكيم الأفاضل. كما أتقدم بالشكر إلى رفقاء مسيرتي التعليمية للدعم المعنوي الذي قدموه لي طوال فترة كتابة الرسالة. وشكر موصول لسعادة الدكتور هاني محمود محمد زبيدات- المستشار القانوني في محافظة أريحا- للمساعدة التي قدمها لي في الحصول على المصادر والمراجع المهمة للرسالة.

الإهداء

إلى روح جدتي الغالية

إلى رفيق دربي والدي العزيز.

إلى من سهرت على راحتى اللبالي الطوال، أمى العزيزة.

إلى توأم روى... زوجتى الغالية.

إلى طفلى الجميلة.

إلى أخواتى الغاليات جميعا

المخلص

تناولت هذه الدراسة تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا، في محاولة لمعرفة أسبابها، وأهدافها التي تأتي في سياق تطور السياسة الخارجية الصينية نحو الشرق الأوسط. ويأتي ذلك من خلال دراسة الاتجاهات، والتغيرات التي حصلت على هذه السياسة في فترة ما بعد الحرب الباردة. وذلك لما فرزت نهاية هذه الحرب من تحولات على الساحة العالمية المتمثلة في صعود، وهبوط العديد من القوى العالمية، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية-كقطب أوحده- في النظام الدولي، وتحول الصراع العسكري إلى صراع اقتصادي تتنافس فيه الدول للحصول على الموارد اللازمة للتنمية. كما عرضت الدراسة السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا في الفترة السابقة للحرب الباردة، منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وصولاً لفترات الربيع العربي.

تُظهر مبررات الدراسة اهتمام الباحث بهذا الموضوع، كون الصين من الدول الصاعدة، والمؤثرة في القرارات العالمية. أما أهمية الدراسة فتكمن في كونها تهدف إلى التعرف على سياسة الصين الخارجية، لا سيما، وأنها دولة ذات قوة اقتصادية، وعسكرية لها تأثير على السياسة العالمية. أما مشكلة الدراسة فقد حاولت رصد ما إذا كان هناك تغيير في سياسة الصين الخارجية، أم أنها استراتيجية للتعامل مع المتغيرات الدوليّة، وذلك من خلال طرح السؤال: هل تغيرت السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا فعلاً، أم أنّها استراتيجية للتعامل مع المتغيرات العالمية؟

حاولت هذه الدراسة تحقيق عدد من الأهداف. كان أهمها: التعرف على خصائص السياسة الخارجية الصينية، وعلى السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا منذ عام 1949م-2014م. ولتحقيق ذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أهمها: أنّ التحولات التي طرأت على السياسة الخارجية الصينية في أعوام الربيع العربي، هي تحولات

تكتيكية وليست جذرية. وأنّ الصين لا تهتم بزوال أو بقاء النظام السوري؛ مادام يحقق مصلحتها، كونه
خطّ الدفاع الأول لعدد من الدول الحليفة كإيران وروسيا، وأنّ الصين قد تدخلت في الثورة السورية لعدة
أسباب تحكم علاقاتها الدولية بالدول الأخرى كالولايات المتحدة الأمريكية، فهي ترفض سيطرة الأخيرة
على موارد الطاقة في مناطق مختلفة من العالم.

The development of China's foreign policy toward Syria

Student name: Atallah Hanna Jeries Al-Kasis

Supervisor: Dr. Ahmad Fares Odeh

Abstract

This study focuses on Chinese foreign policy towards Syria. It tries to explore the reasons and objectives of this policy, in the context of the development of China's politics towards the Middle East. This study also focuses on the changes which have taken place in the Chinese foreign policy after the cold war. The cold war has produced different effects on the world, such as the change in the international system from a bi-polar system to a unipolar system led by the United States, and the transition from military conflict to an economic conflict. This study examines as well Chinese foreign policy towards Syria during the since before the cold war until now.

The researcher is interested in the subject of the study because of the growing role of China as one of the influential countries in global decision-making. The importance of the study emanates from the importance of China and its economic and military strength in the world. The theme of the study is to observe the change in Chinese foreign policy, and to find out if this change is strategic or just tactical.

The study tries to achieve a number of goals; the most important one is identifying the characteristics of China's foreign policy in general during the period between 1949 and 2014, and towards Syria in particular during the same period. The researcher used the descriptive and historical approaches to accomplish his objective. The research results indicate that the shift in Chinese foreign policy during the years of the Arab Spring is just tactical. China's intervention in the Syrian crisis is inseparable from achieving its objectives. China does not care whether the Syrian regime stays or goes as long as it (China) accomplishes its interests specially that it is on the front line of defense for a number of allied states such as Iran and Federal Russia. China intervened in the Syrian crises for a variety of reasons that determine its relations with other countries such as the USA. Needless to say, that China rejects the control of the USA on the energy resources in deferent part of the world.

فهرس المحتويات

أ	إقرار
د	المخلص
و	Abstract
1	الفصل الأول: خلفية الدراسة
1	تمهيد
3	موضوع الدراسة
3	مبررات الدراسة وأهميتها
4	أهداف الدراسة
4	مشكلة الدراسة
4	أسئلة الدراسة
5	منهجية الدراسة
5	معوّقات الدراسة
5	حدود الدراسة
7	الفصل الثاني: الإطار النظري والمفاهيمي والدراسات السابقة
7	تمهيد
7	المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي
7	المطلب الأول: مفهوم السياسة الخارجية
10	المطلب الثاني: نظريات السياسة الخارجية
15	المبحث الثاني: الدراسات السابقة
15	أولاً: الدراسات العربية
21	ثانياً: الدراسات الأجنبية

25	التعقيب على الدراسات السابقة
27	الفصل الثالث: محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا
27	تمهيد
27	المبحث الأول: مدخل تاريخي
28	خصائص الفكر السياسي الصيني
31	مراحل تطور الفكر السياسي الصيني
33	تطور الفكر السياسي الصيني بعد الحرب الباردة
37	المبحث الثاني: محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا
47	الفصل الرابع: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا 1949-2014
47	تمهيد
50	المبحث الأول: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا (1949-2000م)
65	المبحث الثاني: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا (2001-2010 م)
74	المبحث الثالث: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا 2011-2014
91	الخاتمة
94	المصادر والمراجع

الفصل الأول: خلفية الدراسة

تمهيد:

ساهمت الصين من خلال سياستها الخارجية في توفير التوازن الدولي، مؤكدة بذلك على ضرورة الوفاق الدولي نحو حل مشاكل الشرق الأوسط. فالصين تمتاز بأهمية كبيرة على الساحة الدولية؛ وذلك لما لها من مرتكزات جغرافية، وسياسية، واقتصادية، ما يجعلها ثالث أكبر دول العالم مساحةً، وأكثرها تعداداً بالسكان. فضلاً عن منافسة اقتصادها لغيرها من الدول العظمى؛ إذ يتوقع أن يتجاوز الناتج المحلي الإجمالي للصين نظيره الأمريكي في عام 2021م¹. وعدا عن كون الصين عضواً دائماً مجلس الأمن، وتتمتع بحق النقض، فهي تمتلك قدرات عسكرية كبيرة جعلت جيشها ثالث أقوى جيش في العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا. خصوصاً وأنها تمتلك السلاح النووي منذ ستينات القرن الماضي. كل هذه الخصائص السابقة، أوجدت لدى الباحث فضولاً لدراسة سياستها الخارجية التي تركز بالأساس على عدة مقومات أهمها: المبادئ الخمسة للتعایش السلمي، والبراغماتية في التعامل مع الشؤون الدولية.

يعتبر العديد من مفكري العلاقات الدولية أن التطورات الحاصلة على أداء الصين الخارجي، تؤكد التغيير في سياستها الخارجية نحو الانفتاح على المجتمع الدولي، ويتضح ذلك في السنوات الأخيرة برفض الصين الصريح للمشاريع الأمريكية- البريطانية الرامية للتدخل في دول العالم عامةً، ودول منطقة الشرق الأوسط خاصةً. وقد برز هذا التغيير في امتناع الصين عن التصويت أو استخدام حق النقض الفيتو، كما في قراري الأمم المتحدة 1970 و1973، واللذان استهدفا النظام السياسي الليبي.

¹ احمد السيد النجار، "الإمبراطورية الأمريكية: الهيمنة الاقتصادية الألفية"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 9 ديسمبر 2010
<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=362396&eid=46>

يرجّح المراقبون أنّ الصين سوف تسعى في الفترة القادمة، إلى استخدام الدبلوماسية الوقائية الهادفة لاحتواء خطر التوسع الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط. وهو ما تجلّى فعلياً في موقفها إزاء الأزمة السورية، التي شكّلت بشكل أو بآخر نقطة تحوّل في السياسة الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط. فالعلاقات الصينية السورية إبان الحرب الباردة لم تكن قوية. وهذا يعود لعدم اعتبار الصين الأخيرة نقطة جذب اقتصادية أو سياسية لها. كما أنّ سياسة الصين كانت تقوم - منذ بداية تأسيسها حتى العقد السابع من القرن العشرين- على النأي بالنفس، وعدم الانخراط في الشؤون العالمية. أما بعد عملية الانفتاح على العالم، فقد شكّل النمو الصيني -خاصة الاقتصادي- حافزاً لمعاودة تدخلها في السياسة الدولية.

في السنوات الأخيرة، تطورت العلاقات الصينية السورية. نظراً لوقوفها إلى جانب النظام الحاكم في سوريا. واستخدام حق النقض (الفيتو) ضد محاولات التدخل المباشر من بعض الدول الكبرى. الأمر الذي أثار موجة من التكتلات الدوليّة، التي برزت ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والأوروبيين من جانب، وروسيا والصين من جانب آخر.

تتناول هذه الدراسة تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا. في محاولة لمعرفة أسبابها وأهدافها، والتي تأتي في سياق تطور السياسة الخارجية الصينية نحو الشرق الأوسط. وستقوم هذه الدراسة بالإجابة عن السؤال البحثي: هل تغيّرت السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا فعلاً، أم أنّها استراتيجية للتعامل مع المتغيرات العالمية؟

تحتوي هذه الدراسة على أربعة فصول: أولها يتعلق بخلفية الدراسة من حيث الأهداف، والمنهجية والفرضيات، والمحددات، والمشكلة البحثية. أما الثاني فيستعرض الإطار النظري، والدراسات السابقة.

والفصل الثالث يبيّن محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا. إضافةً للفصل الرابع الذي يوضّح السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا منذ عام 1949 حتى 2014م.

موضوع الدراسة:

تحاول هذه الدراسة رصد تطورات سياسة الصين الخارجية تجاه سوريا منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وحتى عام 2014م. وذلك بعد أن لوحظ اتباع الصين لسياسات خارجية مختلفة عمّا كانت تتبعه في العقود الماضية. والمقصود هنا المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، التي أقرّها الحزب الشيوعي الصيني، والمتمثلة في الاحترام المتبادل للسيادة، وسلامة الأراضي، وعدم الاعتداء والتدخل في شؤون غيرها من الدول، والمساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي.

مبررات الدراسة وأهميتها:

تتبع مبررات الدراسة من اهتمام الباحث بهذا الموضوع، كون الصين من الدول الصاعدة. إضافةً إلى اتباعها في تعاملها مع دول الشرق الأوسط، وخاصة سوريا سياسة الانفتاح الاقتصادي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. في سياسة هدفت لتحقيق المصلحة الصينية بالدرجة الأولى. أما سوريا، فهي من الدول العربية المهمة لما تحتله من موقع يجعلها نقطة التقاء لثلاث قارات، وعقدة طرق برّية وبحرية وجوية تربط العالم. وتكمن أهمية الدراسة في كونها تهدف إلى التعرّف على سياسة الصين الخارجية، لا سيما، بأنّها دولة ذات قوة اقتصادية وعسكرية، ولها تأثيرها على السياسة والتفاعلات العالمية والمشكلات الدولية. كما أنّها من الدراسات العربية القليلة (على حدّ علم الباحث)، المهمة في توضيح السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا بعد الأزمة.

أهداف الدراسة:

هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- التعرف على خصائص السياسة الخارجية الصينية.
- 2- توضيح محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط وخاصة سوريا.
- 3- التعرف على السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا منذ عام 1949-2014م.

مشكلة الدراسة:

لقد غيرت الصين من سياساتها الخارجية على مرّ العصور، وهذا ينبع من محاولتها تحقيق المصلحة الوطنية بالدرجة الأولى، خصوصاً في ظلّ صعودها كقوة عالمية اقتصادية، وعسكرية منافسة للهيمنة الأمريكية في العالم. وبناء على ذلك ستحاول هذه الدراسة الخوض في تفاصيل السياسة الخارجية الصينية نحو الشرق الأوسط، وخاصة سوريا، في محاولة لرصد ما إذا كانت السياسة الخارجية الصينية قد تغيرت فعلاً، أم أنها استراتيجية للتعامل مع المتغيرات الدوليّة. كما ستحاول هذه الدراسة الإجابة بشكل واضح عن ماهية العلاقة بين البلدين، وتوضيح ما إذا كانت هذه العلاقة في توافق أم لا. ويمكن إجمال المشكلة البحثية من خلال السؤال التالي: هل تغيرت السياسة الخارجية الصينية

تجاه سوريا فعلاً، أم أنّها استراتيجية للتعامل مع المتغيرات العالمية؟

أسئلة الدراسة:

- 1- ما خصائص السياسة الخارجية الصينية؟
- 2- ما أهم محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط وخاصة سوريا؟
- 3- ما أهم مرتكزات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا؟

4- هل يُعتبر تطور السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا تطوراً براغماتياً؟

5- هل تغيّرت السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة؟

6- هل كان للدعم الصيني للأزمة السورية، أهمية في عدم انهيار النظام في سوريا؟

منهجية الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على استخدام المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، القائم على تحليل المضمون. وذلك لعرض أهم خصائص وملامح السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا. وهذا المنهج يعدّ من المناهج الأساسية المتبعة في الدراسات السياسية. ولتحقيق ذلك اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر والدراسات ذات العلاقة بهذا الموضوع.

معوّقات الدراسة:

تكمن معوّقات الدراسة في التالي:

- 1- عدم توافر المصادر الكافية حول سياسة الصين الخارجية خصوصاً باللغة العربية.
- 2- عدم قدرة الباحث على القراءة باللغة الصينية، وهو أمر مهم لفهم طبيعة التفاعلات السياسية في الصين.
- 3- تشابك أطراف النزاع في الأزمة السورية التي بدأت في عام 2011م، ما يجعل التكهّن بنتائج هذه الأزمة أمر في غاية الصعوبة.

حدود الدراسة:

حدود هذه الدراسة في إطار إجراءاتها من حيث الزمان والمكان:

1- المحدد المكاني: وهو جمهورية الصين الشعبية وسوريا. وسيقوم الباحث بإعداد هذه

الدراسة في الفصل الثاني من عام 2015-2016م في جامعة القدس.

2- المحدد الزمني: يتحدد في الفترة التي سُدْرَس في إطارها السياسة الخارجية الصينية تجاه

منطقة الشرق الأوسط وسوريا منذ عام 1949 حتى عام 2014م. وقد اختار الباحث هذه

الفترة، لأنّها كانت بداية تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولما احتوته من تصاعد في

القوى الصينية الاقتصادية والعسكرية، واندلاع الثورة السورية ضمن ما يُعرف بثورات

الربيع العربي.

الفصل الثاني: الإطار النظري والمفاهيمي والدراسات السابقة

تمهيد:

لا شك أنّ مكانة الصين الدولية ظلّت محلّ نقاش من قبل المهتمين بالعلوم السياسية، خصوصاً بعد نهاية الحرب الباردة لما أفرزته من متغيّرات دوليّة جعلت الدول عامة والصين خاصة تعيد تعريف مصلحتها القومية من خلال إقامة الأحلاف والمعاهدات أو اتباع نمط العزلة، وتحديد أولويات وأهداف سياساتها الخارجية، بما يتوافق مع التحدّيات التي تواجهها. لذلك فقد شهدت السياسة الخارجية الصينية تطورات عديدة منذ نهاية الحرب الباردة، مروراً بحرب الخليج الأولى والثانية، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، نهايةً بثورات الربيع العربي. لكن، قبل البدء بعرض تطورات السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط عامة وسوريا خاصة، لا بدّ من تقديم إطار عام، يوضّح تعريفات الكتاب المختلفة للسياسة الخارجية والنظريات التي بُنيت عليها سياسة الصين الخارجية.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي.

المبحث الأول من هذا الفصل يتضمن: التعريف بالسياسة الخارجية بمفهومها المتداول بين الكتاب؛ للوصول إلى تعريف إجرائي لها، وعرض أهم نظريات السياسة الخارجية مع التركيز على نظرية المنفعة التي تتعامل من خلالها الصين مع سوريا.

المطلب الأول: مفهوم السياسة الخارجية.

تعددت تعريفات السياسة الخارجية، وهذا يُعزى لتعدد عناصرها وتداخلها مع بعضها بعضاً، كالأهداف والوسائل والأدوار. وعدم انفصالها عن السياسة الداخلية لأي بلد. ويعرّف (جيمس رودرد) السياسة الخارجية، على أنّها مجموعة التصرفات السلطوية التي تتخذها أو تلتزم باتخاذها الحكومات. للمحافظة على الجوانب المرغوب فيها في العلاقات الدولية، وتغيير الجوانب غير المرغوب بها. أما (هاورد

ليتز)، فيعرّفها على أنها التداخل الكبير بين السياسة الخارجية والسياسة العامة. ويرى (كارل هولستي)، أنّ السياسة الخارجية هي تفاعل عوامل داخلية وخارجية للوصول إلى تصوّر يحكم العلاقات بين بلدين أو أكثر. كما تُعرّف السياسة الخارجية على أنّها مجموعة من الأهداف التي تحدد طرق التواصل لبلد ما مع بلد آخر. وبشكل عام فإنّ الدول تسعى من خلال سياستها الخارجية، إلى حماية مصالحها الوطنية، وأمنها الداخلي وازدهارها الاقتصادي. وقد تحقق الدولة هذا الهدف من خلال التعاون السلمي مع النسق الدولي أو عبر الحرب والعدوان.¹

في القرن المنصرم، ازدادت أهمية السياسة الخارجية للدول؛ وهذا يعود للتطوّر التكنولوجي الحاصل وظهور العولمة. كما خضعت نظريات السياسة الخارجية للدراسة والتحليل منذ قرون عديدة. وظهرت العديد من المدارس التي تفسّر السياسة الخارجية كان أهمها: المدرسة الليبرالية أو المثالية، التي دعت إلى تطبيق تلك السياسة وفق أهداف مثالية واسعة. وقد تمخّض عن هذه المدرسة، إنشاء عصابة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى. وهذه المدرسة تقوم على نبذ الحرب، وترسيخ السلم الدولي، وتدعو إلى أن يكون النظام الدولي مبنياً على أساس الأمن والاستقرار.²

أما المدرسة الواقعية، فهي ترى وجوب إدارة السياسة الخارجية للدول، عبر مبادئ تقوم على أساس مصلحة الدولة بالدرجة الأولى، وهي عادةً ما ترتبط باستخدام القوة تجاه الدول الأخرى، والحرب من وجهة نظرها، هي ضرورة لحماية مصالح الدول.³

لدراسة السياسة الخارجية، يتوجب فهم عدد من الاعتبارات، منها: توجهات السياسة الخارجية، وأنماطها، وسلوكها الذي يتخذ عدداً من الأشكال كحالة الانعزال، أو الحياد، أو لجوء الدولة إلى إنشاء

¹ محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998)، ط2، ص.7-13.

² محمد مكليف، المدرسة المثالية، فلسطين: مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2013. 12. 15. / <http://rachelcenter.ps>

³ محمد مكليف، المدرسة الواقعية التقليدية، فلسطين: مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2013. / <http://rachelcenter.ps>

أو دعم أحلاف معينة. كما أنّ صناعة السياسة الخارجية تتطلب دراسة مختلف العوامل والمتغيرات المؤثرة بشكل مباشر، أو غير مباشر في صنع هذه السياسة.

من هنا يتبيّن أنّ صناعة السياسة الخارجية تبدأ بملاحظة صنّاع القرار السياسي وجود مشكلة تتطلب الخوض في علاقات تعاون، أو صراع مع دولة أو دول عديدة أخرى من أجل حلّها. ويتم حلّ الإشكاليات الحاصلة من خلال معلومات مسبقة مقدّمة لصنّاع القرار السياسي، ليتم اختيار بديل من البدائل الذي يعظّم منفعة الدولة وتقلل من خسائرها.

تكمن أهمية السياسة الخارجية في كونها مرتكزاً للسياسات العامة لأي دولة، وأداة لتحقيق الأهداف العامة للدولة، والمتمثلة في حماية أمنها، ومصالحها الاقتصادية واستقرارها. كما تتفاوت أهمية السياسة الخارجية للدول، تبعاً لأهميتها في تحقيق أهدافها. فالسياسة الخارجية تلعب دوراً تنموياً، حيث تتنافس الدول من خلال إقامة العلاقات. للحصول على الدعم المادي الضروري لعملية التنمية. كاتباع إحدى دول العالم الثالث سياسة خارجية نشطة تجاه الدول المتقدمة. للحصول على الدعم المالي. كما تلعب السياسة الخارجية، دوراً في تدعيم استقلال الدولة، كاتباع بعض دول العالم الثالث لسياسة عدم الانحياز، من أجل مواجهة نفوذ القطبين الرئيسيين إبان فترة الحرب الباردة. وتساعد السياسة الخارجية في تأمين مصالح الدولة خارج حدودها الجغرافية. وخير مثال على ذلك: وقوف روسيا إلى جانب النظام السوري في حربه مع التنظيمات الإرهابية الموجودة على أرضه، من أجل تأمين مصالحها في ميناء طرطوس السوري.¹

كما أنّ اتباع سياسة خارجية نشطة يساهم في إضفاء الشرعية على السلطة الداخلية، كاتباع الرئيس المصري السابق (محمد مرسي) سياسة خارجية نشطة من أجل تدعيم شرعيته.

¹ أنا بورشفسكايا، "مصالح روسيا الكثيرة في سوريا"، واشنطن: معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 24-يناير-2013.
<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russias-many-interests-in-syria>

المطلب الثاني: نظريات السياسة الخارجية

ترتكز السياسة الخارجية للدول على العديد من النظريات، منها ما يتعلق بالمصلحة والمنفعة، ومما ما يرتبط بالنظرية الدبلوماسية للدولة، ناهيك عن نظرية الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية.

أولاً: نظرية السياسة البراغماتية

يُقصد بالبراغماتية، النفعية أو تغليب المنفعة على المبادئ. ويعود أصل المصطلح إلى اللغة اليونانية وتعني مسألة عملية، ثم أخذ الرومان هذا الاصطلاح، للدلالة على الإنسان المتمرس والتمكّن في إحدى مجالات الحياة وخاصة القانونية منها.¹ أما في أواخر القرن الثامن عشر، فقد ظهرت البراغماتية كأحدى مدارس الفلسفة في الولايات المتحدة، على يدّ الفيلسوف "شارلز ساندر بيرس". تمركزت هذه الفلسفة حول مقولة مفادها، لا يمكن التوصل إلى معاني الأفكار أو تفسيرها إلا من خلال النتائج المترتبة عليها، كما لا يمكن التمسك بالمعتقدات إلا إذا أخذ بعين الاعتبار، النتائج العملية المترتبة على الإيمان بهذه المعتقدات. وهنا يتضح أنّ البراغماتية تركز على النتائج دون الأفكار أو المبادئ.²

وفي السياسة، يُطلق مصطلح الدولة البراغماتية على الدولة التي تنتهج سياسة نفعية دون الأخذ بالمبادئ. كحقوق الإنسان أو مصلحة الدولة الأخرى. ومع أنّ الولايات المتحدة كانت منبع نشوء البراغماتية، إلا أنّ العديد من المحللين، يرون أنّ جذورها كانت صينية الأصل. ويظهر ذلك في العديد من الحكايات الصينية التي تظهر الليونة في الفكر السياسي الصيني، والذي تشبّهه بحركة التنين المتناسق، الذي يمكن ملاحظته في كتاب التاو لفيلسوف الصيني (لاو تزي Laozi)؛ مؤسس الديانة

¹ عبد الكريم صالح المحسن، "البراغماتية في النهضة الصينية المعاصرة"، بغداد: الحوار المتمدن، ع 3585، 23- ديسمبر-2011
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=288517>

² محمد سالم الفيفي، إطلالة على البراغماتية، السعودية: صحيفة فيفاء الإلكترونية.
<http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-1997.htm>

الطاوية.¹ ولعلّ الدليل على البراغماتية في السياسة الخارجية الصينية، يتضح من تعبير رئيسها الراحل (دنج شياو بينغ Deng Xiaoping)، "لا يهمّ لون الهرّ أبيض أو أسود، المهم أن يصيد الفأر".² وهذا يعدّ إشارة واضحة على الطبيعة النفعية للنظام السياسي الصيني، الذي يركز على مصلحة الأمة دون غيرها.

لقد حظى الرئيس (ماو تسي تونغ Mao Zedong) بدعم الفلاحين، من خلال تعاونه الذي أدى إلى استصلاح الأراضي والنهوض بالدولة اقتصادياً. ومع أنّ الصين في تعاملاتها الخارجية تنتهج الطابع البراغماتي، إلّا أنّه لا يمكن إنكار دور المبادئ في تسيير سياستها الخارجية. فيتضح على مرّ العصور أنّ الصينيين معتزّون بثقافتهم، وينظرون إلى الآخرين باستعلاء، وهذا ظاهر من خلال كتبهم التي توضح أنّ الصين هي مركز الأرض، أما باقي الشعوب فهم أغيار. لكنّ هذا الأمر قد اختلف بعد حروب الأفيون وانهيار الإمبراطورية الصينية وافتتاح الثقافة الصينية على الغربية وتعلمهم منها.

ثانياً: نظرية الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية.

سمّة الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية، تعتبر من النظريات الأصيلة التي تخوض في عمق سياسات الدول الخارجية. حيث يميز (شارلز هيرمان) بين أربعة أشكال من التغيير في السياسة الخارجية الأولى: التغيير التكيّفي، ويُقصد به تغيير مستوى الاهتمام الموجّه إلى قضية معينة، مع بقاء الأدوات والأهداف ثابتة. أما الثاني: فهو التغيير البرنامجي، أي أنه تغيير في أدوات السياسة الخارجية، كالتحوّل من الاعتماد على النهج العسكري إلى المفاوضات لتحقيق هدف معين. والثالث: التغيير في الأهداف، وهو ما يُعتبر قلب لنهج الدولة المعتمد في التعامل مع القضايا العالمية. والرابع:

¹ دك، " فلسفة الحُكم في كتاب التاو تي تشينغ"، بكين: مركز دراسات آسيا والصين، 2009.

² محمود محي الدين، البرغماتي الأكبر في آسيا ونظرية لا يهمّ لون القط، السعودية: جريدة الشرق الأوسط، ع. 11284، 2009.

http://www.chinaasia-rc.org/index.php?p=21&id=416 تم الإسترجاع: 2014-6-10
http://classic.aawsat.com/details.asp?section=6&article=540821&issueno=11284#.VKahONKUeSp
الاسترجاع: 2014-6-10.

التغيير في التوجّهات، أي تغيير استراتيجية وأهداف وأدوات سياسة الدولة الخارجية. ويشير (هيرمان)، إلى أنّ التغيير يبدأ تدريجياً ويحتاج إلى فترة من الزمن لحدوثه، كما أنّ الدول عادةً تراعي التغيير المحدود في نمط سياساتها الخارجية، لما يرافق التغيير الجذري من معوّقات أهمها: عدم إمكانية التنبؤ بردود أفعال الدول الأخرى إزاء هذا التغيير الحاصل في سياسة الدول المتبعة للنهج الجديد في العلاقات الدولية.

ويتطابق هذا على الحالة الصينية، يتضح أنّ الصين قد غيرت من سياستها الخارجية في العديد من المرات، كان أهمها ما بين عامي 1959-1966م، حيث انتقلت من الاعتماد على الاتحاد السوفيتي كشريك استراتيجي، إلى نمط الاعتماد على النفس، من خلال تسخير مواردها وإمكاناتها في خدمة مصالحها الدولية. أما التغيير الثاني فقد رافق الثورة الثقافية، حيث اتجهت الصين إلى العزلة التامة عن المجتمع الدولي، من أجل إعادة البناء والنهوض بالنفس. وقد رافق ذلك سحب جميع السفراء الصينيين من الدول الأخرى (ما عدا مصر)، في إشارة واضحة منها على نيتها تقليص حجم التمثيل الدبلوماسي مع دول العالم. وقد استمر نمط العزلة حتى عام 1975م، حينما بدأت الصين بالدخول في مرحلة الانفتاح الاقتصادي، والاتجاه نحو التصنيع الذي احتاجت فيه إلى إقامة علاقات دبلوماسية، من أجل الحصول على الموارد النفطية من الدول الأخرى بعد أن أصبح إنتاجها من النفط لا يغطي حاجتها¹. ومع سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتهاء الحرب الباردة، كانت الصين قد قطعت شوطاً كبيراً في مجال التنمية الاقتصادية. وقد خافت من أن يؤثر سقوطه على وضعها العالمي؛ الأمر الذي دفعها إلى إقامة وتطوير علاقات الصداقة والتعاون مع جميع البلدان، على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي. في الفترة الأخيرة (فترة الثورات العربية)، بعد أن شعرت الصين بقوتها ونفوذها الصاعد، اتجهت إلى الأخذ بزمام الأمور والانخراط الحذر في المسائل العالمية ورفض

¹ تحليل السياسة الخارجية، مصدر سابق، ص. 100-102.

الهيمنة الدولية التي يفرضها القطب الواحد، بلّ وسعت إلى إقامة عالم متعدد الأقطاب يسود فيه التعاون والمشاركة للجميع.¹

بناءً على ما سبق، تم عرض نظريتين لتعامل الصين مع القضايا الدولية، الأولى: النظرية البراغماتية، والثانية: نظرية الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية الصينية. ويتضح أنّ هنالك اختلاف بين النظريتين، الأولى تفيد بأنّ الصين تعالج علاقاتها الخارجية انطلاقاً من مصلحتها. أما الثانية فتري أنّ الصين تغيّر من سياستها الخارجية وفقاً للمتطلبات الدولية. ومن هنا فإنّ الباحث يرى أنّ الصين تعالج القضايا الدولية والإقليمية وفقاً للنظرية الأولى، ويستدل على ذلك من واقع تعاملها مع الأزمة السورية وذلك لعدة أسباب:

1- إنّ الصين في تطورها الاقتصادي المستمر، تراعي مصالحها الأساسية، حتى ولو كان ذلك على حساب المبادئ. ونستدل على ذلك بمعارضة القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة الرامية إلى، التدخل العسكري في سوريا، في حين وقفت على الحياد أمام قرار الأمم المتحدة الداعي للتدخل في ليبيا.

2- إنّ الصين تراعي مصالحها النفطية في الشرق الأوسط، وتخشى من أن يؤدي سقوط النظام السوري إلى انهيار الحليف الاستراتيجي إيران، وبالتالي خسارة مورد نفطي مهم.

3- ترفض الصين التّدخل الغربي في الأزمة السورية؛ خوفاً من سيطرة نظام آخر يكون أقرب للغرب منه إلى الصين، وبالتالي خسارة آخر معقل لها في الشرق الأوسط.

4- غيّرت الصين عبر العصور من سياستها الخارجية من نمط الانعزال إلى التدخل الحذر في القضايا الدولية وذلك وفقاً لمتطلبات كل فترة.

¹ محمد الحمراوي، "السياسة الخارجية الصينية بعد الحرب الباردة"، بكين: المركز العربي للمعلومات، 2008
<http://www.arabsino.com/articles/10-05-07/942.htm> تم الاسترجاع: 2014-12-12.

5- تراعي الصين في تدخلها في الأزمة السورية، علاقتها الوطيدة مع روسيا في ظلّ المصالح

الاقتصادية الجامعة للطرفين، وشراكة البلدين في عضوية عدد من المنظمات الدولية.

6- تخشى الصين من أن تكون سيطرة الأحزاب الدينية في دول الشرق الأوسط، امتداداً لحراك

عدد من الحركات الانفصالية في الداخل الصيني للمطالبة بالانفصال، خصوصاً أنها تعاني

من وجود العديد من هذه الحركات في عدد من الأقاليم الصينية كإقليمي التبت وسينكيانج.

7- إنّ تدخل الصين في الأزمة السورية، ينبع من الضغوط التي تفرضها عليها الولايات المتحدة

لرفع سعر عملتها، وتخفيض تصدير السلع والبضائع للدول الأخرى. كما أنّ الصين تستخدم

الأزمة السورية كورقة ضغط على القوى العالمية ضد أي محاولة لانتقاد انتهاكاتنا لحقوق

الإنسان، وتراعي تحقيق مكاسب دولية أمام ادعاءات تايوان بأحققتها في السيطرة الكاملة على

الصين، بعد أن كانت قد شغلت مقعد الصين في الأمم المتحدة في السبعينيات من القرن

المنصرم.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربية

1- سعيد الحسن، العلاقات السورية الصينية: الوقائع والآفاق والمستقبل، (سوريا: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، 2006م).

قسّم الباحث دراسته إلى عدة فصول، سبقها مقدمة عرضت خلفية الدراسة من حيث الأهمية والأهداف والمشكلة البحثية. عرض الباحث الإطار النظري للدراسة، حيث وضّح أنّ للتاريخ دور مهم في توثيق الروابط، وزيادة التأثير المتبادل بصورة هائلة بين سوريا والصين. ثم تطرق الباحث إلى قوة الصين الاقتصادية والعسكرية والبشرية الصاعدة، وتطور سياساتها الخارجية نحو منطقة الشرق الأوسط. بعد ذلك أُنط بدور الإسلام في توطيد العلاقات التاريخية الصينية العربية. وقد وضّح أنّ تاريخ هذه العلاقات تعود إلى مئات السنين، حيث كان للطريق التجاري الذي يربط بلاد الصين ببلاد العرب - والذي عُرف بطريق الحرير - دورٌ كبيرٌ في تطوير هذه العلاقات. بعد ذلك، درس الباحث أهمية العلاقات الصينية السورية، كونّ سوريا تقع في منطقة غاية في الأهمية لأنها ملتقى القارات. إضافةً إلى كونّ المنطقة بأسرها مهداً للحضارات والديانات السماوية الثلاث. وقد افترض الباحث أنّ العلاقات الصينية السورية تتحدد وفقاً للمصالح المشتركة لكلتا الدولتين، وأنّ موقع الصين البارز الذي تحتله على خارطة الدولية يعدّ عاملاً مشجعاً لتطوير العلاقات بين البلدين. أما أهداف الدراسة، فقد بيّن الباحث أنّ الدراسة تسعى إلى إلقاء الضوء على العلاقات الصينية السورية في القرن الحادي والعشرين، وبشكل خاص بعد استقلال كل من البلدين. وقد اعتمد الباحث في دراسته على عدة مناهج، كالمنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي. وتوصّلت الدراسة إلى عدة نتائج كان أهمها: أنّ الصين تعتبر منطقة الشرق الأوسط عامة، وسوريا خاصة منطقة ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية وأمنية لها.

وقد أوصى الباحث بعمل المزيد من الدراسات على شاکلة هذه الدراسة، خصوصاً وأنّ الصعود الصيني قد يجعل منها أحد الأقطاب الرئيسة في العالم، وهو ما يشكل دعماً للدول العربية. وتتبع أهمية هذه الدراسة في كونها امتداداً للدراسة الحالية خصوصاً وأنها قد تناولت العلاقات الصينية السورية منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية حتى عام 2006م، في حين أن الدراسة الحالية ستبحث في تطور السياسة الخارجية الصينية في فترة الثورات العربية.

2- محمد صيدم، دور النفط في السياسة الخارجية الصينية، (فلسطين: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر - غزة، 2014).

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم أمن الطاقة في السياسة الخارجية الصينية ودوره في رسم السياسات الخارجية للصين، في محاولة للإجابة عن مشكلة الدراسة: ما علاقة أمن الطاقة في توجه السياسة الخارجية الصينية؟. قسم الباحث دراسته إلى عدة فصول: في الفصل الأول عرض خلفية الدراسة وإطارها النظري محدداً بذلك أهمية أمن الطاقة في العلاقات الدولية، ثم تطرق إلى أهم خصائص النظام السياسي الصيني وتأثيره على السياسة الخارجية. في الفصل الثاني عرض الباحث أهم محددات وخصائص السياسة الخارجية الصينية، ومراحل تطورها، ثم عرض توجهات السياسة الخارجية الصينية نحو الدول الغنية بالموارد النفطية. وقد أوضح أنّ الصين تسعى إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع ثلاث مناطق تحديداً، هي منطقة الخليج العربي، ومنطقة آسيا الوسطى وإفريقيا. وذلك لضمان تنوع مصادرها النفطية. افترض الباحث أنّ النفط كمتغير مستقل له دور كبير ومؤثر في صنع السياسة الخارجية الصينية كمتغير تابع. أما أهمية الدراسة، فتتبع من كونها درست أهمية النفط كمحدد رئيس في توجه السياسة الخارجية الصينية. وإلتام هذه الدراسة، استعان الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي. وقد خلصت الدراسة إلى أنّ الدبلوماسية الصينية نجحت في اختراق الدول ذات

الموارد النفطية، من خلال اتباع سياسات موافقة لمفهوم القوة الناعمة وللمبادئ الخمسة للتعایش السلمي. وقد أوصى الباحث بضرورة التزام الصين بالمبادئ الخمسة للتعایش السلمي، والاستمرار في تعزيز رابطة الشراكة مع العالم.

3- محمد ریحان، التجربة الاقتصادية الصينية وتحدياتها المستقبلية، (فلسطين: رسالة ماجستير منشورة، جامعة الأزهر - عزة 2012).

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مقومات الاقتصاد الصيني ومحددات نموه السريع، والتعرف على علاقات الصين الدولية وكيفية الانفتاح على العالم. وتمّ تقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول، حيث عرض في المقدمة خلفية دراسته. أما الفصل الأول بعنوان "بنية الصين الجغرافية والثقافية"، فقد عرّف فيه الباحث بمقومات الصين الطبيعية والموارد الموجودة فيها، كما عرض في هذا الفصل، الثقافة السياسية الصينية ودورها في الانفتاح على العالم. أما في الفصل الثاني بعنوان "نموذج التنمية الصينية"، فقد عرّف بواقع الاقتصاد الصيني ما قبل، وما بعد الانفتاح على العالم. في الفصل الثالث بعنوان "مكانة الصين الدولية"، خصّصه الباحث لدراسة العلاقات الصينية مع كل من الولايات المتحدة والدول الأوروبية واليابان وروسيا والدول الإفريقية. أما الفصل الأخير بعنوان "آفاق الاقتصاد الصيني"، فقد تمّ فيه مناقشة مقومات الاقتصاد الصيني، والمشاكل والتحديات التي تواجه الصين. حاولت الدراسة الإجابة عن إشكالية مفادها ما المشكلات والتحديات التي تواجه الصين، والتي يسعى الصينيون لتجاوزها والتغلب عليها؟

افتترض الباحث أنّ الصين تمتلك المقومات الاقتصادية، ما يجعلها قادرة على منافسة الاقتصاديات الكبرى. للإجابة عن تساؤلات الدراسة وفرضياتها، استعان الباحث بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي. توصل الباحث إلى نتيجة مفادها: أنّ هنالك مجموعة من المشكلات والتحديات التي قد تؤثر

على مستوى التقدم الاقتصادي الذي وصلت إليه الصين، كالتحدي الذي سيواجه الصين في كيفية إعادة توجيه النمو إلى مسار أكثر استدامة، في ظلّ ما يشهده العالم من مشكلات اقتصادية، وتراجع في مستوى النمو. وفي إطار هذه النتيجة، أوصى الباحث بضرورة تطوير نظام الإصلاح الاقتصادي، ليشمل الإصلاح السياسي، ومحاربة الفساد وعدم العودة إلى التخطيط المركزي. وتكمن أهمية هذه الدراسة، في كونها ذات علاقة مباشرة مع موضوع الدراسة الحالية، خصوصاً أنها قد درست تطور أحد أهم العوامل المحددة للسياسة الخارجية الصينية.

4- أحمد الريضان، السياسة الخارجية الصينية والشرق الأوسط، (عمان: مجلة دراسات شرق أوسطية، 2011، ع: 57).

حاولت هذه الدراسة الاجابة عن السؤالين التاليين: ما قدرات الصين الدولية؟، ما المبادئ التي تقوم عليها سياسة الصين الخارجية؟. افترض الباحث أنّ المصالح القومية، هي التي تحدد السياسة الخارجية الصينية، واعتمد الباحث على المنهج التاريخي لوصف العلاقات الخارجية الصينية مع العالم العربي. قسّم الباحث دراسته إلى عدة موضوعات، أولها: تطور قوة الصين الدولية، حيث أشار إلى أنّ الثقل الاقتصادي قد انتقل إلى القارة الآسيوية، فأصبحت الدول الآسيوية وأهمها الصين، تنافس اقتصاد الدول الكبرى بما فيها الولايات المتحدة. ثم عرّف الباحث مبادئ السياسة الخارجية الصينية، وكيف نجحت في اكساب مبادئها مصداقية على المستوى العالمي. بعد ذلك عرض الباحث السياسة الخارجية الصينية ومحدداتها تجاه الشرق الأوسط، في ظلّ وجود المصالح المتبادلة، وحاجة الصين إلى البترول وإلى أسواق لتصريف بضائعها. أخيراً عرض الباحث سياسة الصين تجاه الثورات العربية، وأشار إلى أنّ الثورات العربية قد غيرت من توجّه الصين في سياساتها الخارجية. توصلّ الباحث إلى أنّ الصين تسعى للمحافظة على علاقتها التجارية مع الحكومات الجديدة في الدول التي اجتاحتها

الثورات الشعبية، كما ستحاول تقديم نفسها على أنها صديق مخلص وشريك لهذه الحكومات، من أجل ضمان وصول إمدادات النفط إليها. ومن هنا يتضح أنّ العلاقة ما بين هذه الدراسة والدراسة الحالية تُعدّ علاقة متوافقة، لكونهما تبحثان في توجهات السياسة الخارجية الصينية نحو الشرق الأوسط في فترة الربيع العربي.

5- محمد خير الوادي، إضاءات على السياسة الصينية الخارجية، (دمشق: الأهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).

تتبع أهمية هذا الكتاب، كون كاتبه كان سفيراً سورياً لدى الصين في الفترة الواقعة ما بين عامي 2000-2008م. وقد تناول الكتاب عدة موضوعات كانت ذات علاقة في النظام السياسي الصيني، قسّمها إلى عدة فصول: الأول تحدث عن الفكر السياسي الصيني بشكل عام، أما الثاني، فذكر الصين في العهد الماوي، وتناول في هذا الفصل جزأين، الأول علاقة الصين مع الاتحاد السوفيتي، والثاني علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية. أما الفصل الثالث، فيوضّح سياسة الانفتاح بخمسة أجزاء ممثلة في العلاقة مع واشنطن وروسيا والدول العربية وإسرائيل وموقف الصين من قضايا الشرق الأوسط. أما الفصل الرابع فتناول سياسة بكين الراهنة بين الخيارات والتحديات، حيث حاول الباحث الإجابة عن مشكلة بحثية من خلال السؤال: ما المرتكزات التاريخية والفلسفية والفكرية التي تستند عليها السياسة الخارجية الصينية؟. في حين افترض وجود علاقة ايجابية ما بين الفلسفة الصينية وتوجهات السياسة الخارجية. توصل الكاتب إلى عدة نتائج كان أهمها، امتازت سياسة الصين بخاصية البراغماتية، أي أنّها لم تكن على سياسة ثابتة، ففي البداية التزمت سياسة الحياد والانعزال، ومن ثم تبلورت سياستها في خدمة مصالحها التي تخدم تطورها. وقد أوصى الباحث بضرورة تطوير

العلاقات بين الدول العربية والصين، وذلك لمواجهة الخطر الإسرائيلي، لأنَّ العلاقات ما بين الصين والأخيرة في تطور مستمر.

6- وليد عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010، (الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2010).

هدفت الدراسة إلى إبراز التفاعل ما بين البيئة الداخلية والخارجية لبنية الصين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وذلك في محاولة للتعرف على تفاعل الصين مع المتغيرات الدولية. استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي، للإجابة عن مشكلة الدراسة من خلال السؤال: ما هي مكانة الصين الدولية في المستقبل؟. افترض الباحث أنَّ الصين سوف تتنافس الدول العالمية في جميع مجالات الحياة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، خصوصاً وأنَّ العالم يشهد تحولاً نحو التعددية القطبية. أما تقسيم الدراسة فقد تضمنت عدة موضوعات أهمها: أحوال الصين الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافة الصينية، وتأثيرها على الانفتاح الاقتصادي، وعلاقة الصين مع عدد من الدول الإقليمية والعالمية كاليابان والهند وفيتنام وكوريا الشمالية والجنوبية، وأثر دخولها في المنظمات الدولية كمنظمة التجارة العالمية، ومنظمة الآسيان وغيرها. ثم عرض الباحث النظام السياسي الصيني، وتناول الحزب الشيوعي وتأثيره في اتخاذ القرارات السياسية الداخلية والخارجية. أنهى الباحث دراسته بخاتمة عرض فيها مستقبل الصين في ظلَّ المتغيرات العالمية كحروب الخليج، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، والحرب على العراق وأفغانستان. توصلَّ الباحث إلى عدة نتائج كان أهمها: أنَّ ثقافة المجتمع الصيني تعدُّ أحد أهم عناصر الاستقرار السياسي، وأنَّ مستقبل الصين مرهون بمدى إمكانية تحديث الأنظمة الاقتصادية والسياسية والزراعية والتكنولوجية والدفاع الوطني.

أوصى الباحث بضرورة التزام الصين بالمبادئ الخمسة للتعايش السلمي، للوقوف في وجه الإمبريالية الغربية، خصوصاً وأن الصين تعدّ منافساً للدول الغربية الحديثة.

ثانياً: الدراسات الأجنبية.

1- Linda Jackson, China's Foreign policy Dilemma,(Austria: Lowy Institute for International study,2013).

قدمت ليندا جاكسن دراسة صادرة عن معهد لوي للدراسات الدولية في النمسا، بعنوان "معضلة السياسة الخارجية الصينية"، حيث قُسمت الدراسة إلى خمسة عناوين، معضلة السياسة الخارجية الصينية، وأهداف السياسة الخارجية الصينية، وتحديات السياسة الخارجية الصينية، وعلاقة الصين مع دول جنوب شرق آسيا، وعلاقة الصين مع كوريا الشمالية. حاولت الباحثة في دراستها التركيز على نقطتين رئيسيتين حول السياسة الصينية. الأولى: تنافس الصين على مصادر الطاقة مع دول صناعية أخرى كالولايات المتحدة واليابان، والثانية: وضّحتها في التناقض ما بين السياسة الخارجية والدكتاتورية الصينية، وبالذات عدم السماح لأي دولة مهما كان مركزها بانتقاد سياستها الداخلية بأي شكل من الأشكال، خاصةً في مجال حقوق الإنسان وانتهاكاتها له، مما دفع الصين إلى مراجعة حساباتها الدولية واستراتيجيات سياستها الخارجية. خلصت الباحثة إلى نتيجة مفادها، أنّ على الصين تطوير سياستها الداخلية وتوفير الحريات العامة والديمقراطية، واتباعها سياسة خارجية نشطة حتى تصبح نموذجاً يُحتذى به. كما وضّحت أيضاً بأنّ الصين تربطها صداقات مع دول أخرى تقاربها بالأيديولوجية، ككوريا الشمالية وفيتنام، ناهيك عن العلاقات غير القوية مع اليابان. ويعود ذلك إلى احتلال اليابان للصين في أعوام سابقة، إضافةً إلى تقاربها مع الغرب. لذلك تحاول الصين التنافس مع الدول الصناعية الأخرى في ترسيخ علاقتها الخارجية مع بعض الدول، لإيجاد مصادر النفط وغزو

أسواق دول أخرى بمنتجاتها الصناعية. تكمن أهمية هذه الدراسة أنها ترتبط بالدراسة الحالية لأنها تخوض في تحليل سياسة الصين الخارجية ومعضلاتها وعلاقتها بالسياسة الداخلية.

2- Pascal Abb, China's Foreign Policy Think Tanks: Changing Roles and Structural Conditions,(Germany: GIGA Research Unit:

Institute of Asian Studies, No 213,2013).

قدمت بسكال آب دراسة صادرة عن معهد الدراسات الآسيوية للمعهد الألماني للدراسات العالمية ودراسات المنطقة، بعنوان "سياسة الصين الخارجية مؤسسات الفكر والرأي: تغير الأدوار والشروط الهيكلية". قسّمت الدراسة إلى مقدمة وضّحت من خلالها دور المؤسسات الصينية في صنع السياستين الداخلية والخارجية، ثم ثلاث موضوعات: الأول كان نموذج تصنيفي لتلك المؤسسات. أما الثاني فوضّحت فيه تاريخ المؤسسات الفكرية الصينية ودورها في تنمية الوعي لدى المواطنين الصينيين. أما الثالث عرضت فيه التطور لتلك المؤسسات منذ عام 1949م، إلى تاريخ الدراسة. حاولت الباحثة الإجابة عن مشكلة الدراسة الكامنة في السؤال المحوري: ما دور المؤسسات الفكرية في صنع السياسة الخارجية الصينية؟. افترضت الباحثة أن هذه المؤسسات لها دور كبير في تقديم الاستشارة لصنّاع السياستين الداخلية والخارجية الصينية. خلصت الدراسة بأنّ لتلك المؤسسات دوراً هاماً في تفعيل السياسة الداخلية والخارجية للصين بما يتناسب مع مصالحها من خلال تقديم الاستشارة لصنّاع القرار الصيني. أما علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية فهي علاقة مترابطة، لا سيما أنّ دراسة باسكال توضح دور المؤسسات الفكرية في صنع القرار السياسي، وهو ما يعدّ ركناً أساسياً في صناعة السياسة الخارجية التي تبحث فيها الدراسة الحالية.

3- Zachar Laub , Syria's Crisis and the Global Response, (USA: Council on Foreign Relations, 2013).

عرض زكريا لوب دراسة بعنوان "الأزمة السورية والاستجابة العالمية"، صدرت عن مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة. حيث قسّم الباحث دراسته إلى عدة موضوعات، في البداية تساءل الباحث: أين تقف الأزمة السورية؟ موضحاً أنّ القتال ما زال يحصد المزيد من الأرواح، ولم تكن هنالك فرصة للتدخل العسكري بسبب ممانعة كل من روسيا والصين لقرارات التدخل الصادرة عن الأمم المتحدة. ثم عرض الباحث أهم فصائل المعارضة في سوريا، وقسمهم إلى إسلاميين معتدلين، ممثلاً ذلك في الائتلاف الوطني السوري، الذي تشكل في الدوحة عام 2012م. وإسلاميين متشددين (تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام، وجبهة النصرة). ثم تساءل الباحث عن إمكانية التوصل إلى اتفاق سلام بين النظام السوري والمعارضة بواسطة الأمم المتحدة. بعد ذلك عرض أهم المؤتمرات التي وقّرت محفلاً لمناقشة طرق التوصل لإطار سلام، والمتمثلة في جنيف واحد في آب 2013م. عرض الباحث سياسات حكومات الشرق الأوسط في التعامل مع الأزمة السورية، ثم انتقل للحديث عن طبيعة العقوبات الأمريكية على سوريا، وعن رؤيته للاقتصاد السوري في ظلّ الأزمة الدائرة هناك، حيث أشار إلى أنّه في حالة فوضى عارمة بسبب الحرب. ثم تساءل الباحث في العنوان السابع، عن طرق تفاعل الصين وروسيا مع الاضطرابات السورية، ويرى الباحث أنّ هنالك علاقات مصالح بين سوريا من جهة والصين وروسيا من جهة أخرى، جعلت كل من الدبّ الروسي والتين الصيني يعارض قرارات الأمم المتحدة، التي تهدف إلى عزل بشار الأسد من موقعه. خلصت الدراسة إلى أنّ الأزمة السورية هي أزمة تجاذبات بين الدول الكبرى من ناحية، والدول الإقليمية من ناحية أخرى، وبأنّ الأزمة السورية ستبقى أزمة مستمرة بالرغم من المحاولات الدولية لحلّها، لأنّها تعدّ منطقة مهمة لمصالح تلك الدول. وأنّ الحديث عن اتفاق سلام بين النظام السوري والمعارضة لن يكون قريباً. وتعدّ علاقة هذه الدراسة

بالدراسة الحالية علاقة وطيدة، لا سيما أنّ الدراسة الحالية تعدّ امتداداً لهذه الدراسة، لأنهما تبحثان في نفس الموضوع بشكل مباشر.

4- Zhu Liqun, China's Foreign Policy Debates, (Paris: European Union Institute for Security studies, 2010).

عرض زوهو لتشون دراسة صادرة عن المعهد الأوروبي للدراسات الأمنية بعنوان "مناقشة السياسة الخارجية الصينية"، قسّم الباحث دراسته إلى مقدمة وعدد من الفصول. وضّح في المقدمة أهمية السياسة الخارجية للصين، كقوة عالمية صاعدة تسعى من خلالها للحصول على الموارد النفطية، وإقامة علاقات طيبة مع جميع دول العالم. ففي الفصل الأول بيّن الباحث مفهوم الهوية والاستراتيجية الصينية نحو السياسة الخارجية. أما الثاني فقد وضّح بعض السمات المميزة لسياسة الصين في الوقت الحاضر. في الفصل الثالث ناقش دور الصين تجاه القضايا العالمية، انطلاقاً من مسؤوليتها كقوة صاعدة. أما الفصل الرابع فتناول الباحث فيه أهم الأهداف، والاستراتيجيات السياسية التي تتبعها الصين تجاه الدول الأخرى.

يشير الباحث إلى أنّ العلاقات الصينية الخارجية تدور حول انفتاح الصين على العالم بعد الثورة الثقافية التي قام بها (ماو تسي تونغ Moa Zedong)، ويرى أنّ الهدف الرئيسي للصين بناء علاقاتها مع جميع الدول على أساس التوازن بين القوى، دون التدخل بالشؤون الداخلية لأي دولة.

افترض الباحث بأنّه لا يمكن للصين أن تصل إلى مرتبة الدول العظمى، إلاّ إذا وفّرت الطاقة لصناعاتها والأسواق لمنتجاتها. وهذا يتطلب منها سياسة متوازنة والتركيز على الانفتاح الاقتصادي، وتطوير الصناعة دون المسّ بمبادئ الثورة الشيوعية الصينية حتى تحافظ الصين على هويتها،

وبالتالي فإنّ هذا يتطلب التوازن ما بين الأيدولوجية الداخلية والمفهوم الصناعي. خلص الباحث إلى أنّ مبادئ الثورة الشيوعية مرتبطة بمبادئ الثورة الثقافية، كما أكد على أهمية الانفتاح الاقتصادي ممثلاً ذلك بإقامة علاقات متوازنة ما بين الصين والدول الأخرى. وهذا بخد ذاته يوفّر للصين نقطتين أساسيتين: الأولى توفير مصادر الطاقة التي تعتمد عليها الصناعات الصينية، ولا يتم توفيرها إلا من خلال إقامة علاقات خارجية وطيدة بينها وبين الدول المنتجة للطاقة. والثانية توفير أسواق عالمية لتصدير البضائع الصينية بين تلك الدول التي تقيم الصين معها علاقات سياسية وثقافية خارجية، الأمر الذي يجعل من الصين دولة متطورة ومتقدمة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال ما تمّ عرضه من أفكار الكتاب والباحثين السابقين، نجد أنّ تلك الدراسات كانت محايدة في تقديم الوقائع والإجابات المتعلقة بتفسير سياسة الصين الخارجية، إضافةً إلى أنها ذات أهمية نابعة من تقاطع أفكارها مع آراء باحث الدراسة الحالية، ولو كان هنالك اختلاف في الوسائل المستخدمة من جانب الصين في معالجة سياستها الخارجية، كاعتمادها على الوسائل العسكرية أو الدبلوماسية في معالجة القضايا الخارجية. استفاد الباحث من هذه الدراسات في بلورة بعض الأفكار الخاصة في تعامل الصين مع القضايا الدولية، وتمّ الارتكاز على هذه الدراسات في توثيق بعض المعلومات الموجودة داخل النصّ الحالي. خصوصاً وأنّ الدراسات السابقة حاولت توضيح أهم مرتكزات سياسة الصين الخارجية بعد التغيّرات التي حدثت فيها؛ كالثورة الثقافية والنهضة الاقتصادية عام 1979م. وبناءً على ذلك يمكن الإشارة إلى ثلاث نقاط:

- 1- إنّ الدراسة الحالية تعدّ امتداداً للدراسات السابقة وللافكار المطروحة.
- 2- إنّ هذه الدراسة تقوم على غرار بعض الدراسات السابقة باستخدام المنهج الوصفي.

3- تختلف هذه الدراسة عن سابقتها في أنها ستحاول اتباع التغيّر في السياسة الخارجية الصينية في منطقة الشرق الأوسط عموماً والحالة السورية خصوصاً بعد أحداث الربيع العربي.

الفصل الثالث: محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا.

تمهيد:

شكّل انتهاء الحرب الباردة نقطة مفصلية في تعامل الصين الشعبية مع منطقة الشرق الأوسط. فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ارتكزت الصين في سياستها الخارجية على عدد من المقومات، يختلف علماء السياسة في تصنيفها من حيث القدم أو الحداثة، فالبعض يرى أنّ للصين رؤية واضحة ممتدة لأكثر من ثلاثة آلاف عام، تتعامل فيها مع الدول الأخرى وخاصة العربية. أما البعض الآخر فيجزم أنّ الصين قد غيرت من سياستها الخارجية، لمواكبة التطورات الداخلية والتحديات الخارجية. وبالنظر إلى حجم الصين الجغرافي وقوتها الاقتصادية، يتضح أنّها تراعي العديد من الاعتبارات في تعاملها مع الدول الإقليمية والعالمية، ولفهم هذه الاعتبارات قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين: الأول جاء بمدخل تاريخي ليعرض خصائص الفكر السياسي الصيني وتطوره، ولعل هذا يشكل عاملاً مهماً لدراسة سلوك الصين الخارجية لكونها ذات جذور سياسية متراكمة، والفكر السياسي الصيني مبني على تعاليم وأخلاق يؤمن بها صنّاع القرار السياسي الصيني، منها التعاليم الكونفوشيوسية الحائّة على تقديس الفرد، عبادة الشخصية واحترام السلطات العليا. أما المبحث الثاني فسيراعي محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا.

المبحث الأول: مدخل تاريخي

هنالك علاقة وثيقة ما بين الفكر السياسي الصيني وسياسة الصين الخارجية خصوصاً وأنّ هذا الفكر قد أضفى على سياسة الصين الخارجية طابع التعامل بالقوة الناعمة بدلاً من الصلبة، من خلال الارتكاز على أفكار، أهمها المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، ورفض الهيمنة وسياسة القوة، والأحلاف

العسكرية وسباق التسلح. سيحاول هذا المبحث- دراسة تأثير الفكر السياسي الصيني على مسار السياسة الخارجية، للوصول إلى نقطة توضّح علاقاتها الخارجية بالدول الأخرى.

خصائص الفكر السياسي الصيني

يمثل الفكر السياسي همزة الوصل ما بين السياسة الخارجية الصينية وتعاملها مع القضايا الدولية، وسيحاول هذا الجزء، توضّح خصائص الفكر السياسي الصيني من خلال عرض أهم المعتقدات الصينية الموروثة، والتي تشكل حجر الأساس للفكر الصيني الرائد.

لعلّ الحكومات الصينية المتعاقبة تحرص على درج القصر الإمبراطوري ضمن زيارات وفودها الرسمية، في دلالة على أهمية هذا المعلم من الناحية التاريخية أولاً، كونه مقراً لأباطرة الصين المتعاقبين. ولما يشكل من إرث حضاري وفكري يعتزّ به الصينيون. فمن داخل هذا القصر- الذي تبلغ مساحته حوالي 150 ألف متر مربع والذي بُني عام 1420م، في عهد الإمبراطور "تشولي" من أسرة مينغ¹ - مارس أبناء السماء - كما كان يُطلق عليهم- نفوذهم في حكم الصين على مرّ العصور. فحسب الفلسفة الصينية التي سادت آلاف السنين، فإنّ السماء هي القوى العليا التي تمثّل مطلق الحكمة والعدل، وهي تراقب الناس جميعاً، وقد عهدت السماء إلى إمبراطور الصين مهمة تنفيذ أحكامها على الناس. وبربط هذا بالتحاليم الكونفوشيوسية، يتضح أنّها حنّت على تقديس، وعبادة الشخصية المتمثلة في الإمبراطور الذي يُعدّ بمثابة الأب لجميع الصينيين، ولا يجوز مخالفته بالمطلق؛ ما شكّل الأرضية الصلبة لضمان بناء الإمبراطورية الصينية وتوفير الاستقرار الاجتماعي على مدى العصور المختلفة، حيث انفتحت هذه التحاليم بما فيها من متطلبات روحية مع مصالح الأباطرة جميعاً.

¹ محمد خير الوادي، إضاءات على السياسة الصينية الخارجية، (دمشق: الأهلّي للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص.9-11.

بحسب الفكر الصيني فإنّ نشأة العالم كانت بعد أن عمّت الفوضى الكون كله، حيث تقسّم إلى أجزاء صغيرة، أخذت بالاتحاد فيما بعد على مجموعتين: الأولى تضمّ الأجزاء الكبيرة التي هبطت وكوّنت الأرض المُحاطة بأربعة اتجاهات والصين مركزها، بينما تعتبر الدول الأخرى خارج المركز وهامشية. أما الفئة الثانية فقد ارتفعت إلى السماء وكونتها على شكل كروي. ونشأة الإنسان حسب الفكر الصيني، جاء نتيجة التفاعل بين الأرض والسماء. وقد اعتبر الفكر الصيني الأشياء في العالم أصداداً، بمعنى أنّ كل شيء في العالم يتوجب أن يقابله شيء آخر مساوٍ له، كالكون ضد الحركة والخير ضد الشر والنور ضد الظلام، ولا يمكن أن يستمر أي شيء من دون ضده في ثنائية واضحة كانت الأساس في العقيدة الصينية.¹

إنّ العقيدة الكونفوشيوسية ما زلت متأصلة في العقول الصينية، بلّ ويستحيل فصل أو فهم السياسة الخارجية الصينية دون الخوض في تفاصيل هذه الفلسفة، لما تتمتع به من خصوصية وهوية متماسكة. فهناك مثلاً صيني يقول: "البحر يغيّر طعم ألف نهر" أي أنّ جميع المذاهب الفكرية والسياسية التي دخلت الصين على مرّ العصور، ذابت داخل البحر الفكري الصيني بلّ ونشأت أفكار أخرى ذات نكهة صينية. فعلى سبيل المثال: دخلت البوذية الصين قادمةً من الهند، لكنها باتت مختلفة عن الأصل من حيث الطقوس والعادات. كما أنّ المسيحية القادمة من أوروبا لم تجد لها موطناً قدم في الصين. فضلاً عن الطقوس الإسلامية التي اختلفت بعد أن دخل الإسلام الصين.

أمّا الماركسية التي تعدّ أساساً عقائدياً للحزب الشيوعي الصيني، فقد أخذت الطابع الصيني باعتمادها على الفلاحين، وليس على العمال كما في الاتحاد السوفيتي.

¹ محمد نعمان جلال، الصين الشعبية بعض ماوتسي تونغ- الخصائص الأيدولوجية للمجتمع الصيني قبل ماو، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- يناير - 1977.

<http://www.ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial=214161&eid=2007>

ويشكل العامل السكاني الكبير في الصين، تعزيزاً لفكرة أنهم مركز الأرض والباقي مهمشون، ما زاد الوعي بالعرّة القوميّة الصينية الراضة للهيمنة، بلّ وبأهمية الذات الصينية التي تجلّت في العديد من الإنجازات والاختراعات كالبارود والورق والمطابع. من ناحية أخرى فإن العقيدة الكونفوشيوسية تحثّ على التآخي والسلام وفعل الخير، ولولا هذا لربما اكتسبت سمّة الذات الصينية مشاعر من العنصرية والشوفينية.

لا شكّ أنّ المآسي التي سببها تدخل القوى الاستعمارية في الصين منذ أواسط القرن التاسع عشر ولغاية ظهور جمهورية الصين الشعبية، أثّرت على نظرة الصين إزاء الأجانب. فهم كانوا قد عاشوا في عزلة تامّة عن العالم لقرون طويلة. فشكّلت الحروب الاستعمارية أول اتصال لهم مع العالم والغربي. فانكشفت لهم الجوانب المظلمة للنظام الإمبراطوري والتدهور الاقتصادي والتفوق الأوروبي عليهم، إضافةً إلى تعمّق مشاعر الكره لكل ما هو غريب بسبب المآسي والكوارث التي حلّت عليهم كإدخال الأفيون على يدّ البريطانيين لمقاومتها بالفضة الصينية، وذلك إبان حرب الأفيون الأولى التي انتهت بمعاهدة مذلّة تقتضي على الصين دفع تعويضات وفتح الأسواق وإقامة مستعمرات للبريطانيين، فضلاً عن احتلال اليابان لهم والتنكيل بهم في عام 1894م. كما أنّ أكثر ما يثير الدهشة في الفكر السياسي الصيني، الدعوة للصبر ووضع استراتيجيات طويلة الأمد وعدم الانفعال ومثال على ذلك، احتلال بريطانيا لهونج كونج في القرن التاسع عشر، وتحويلها لمركز لنقل الأفيون إلى الهند من خلال عقد مدته تسعة وتسعين عاماً، وهي فترة اعتبرتها بريطانيا لا متناهية. لكن الصبر الصيني قد احتقل في عام 1997م، بعودة الأرض إلى الحكم الصيني. وقد استمر القادة السياسيون الصينيون على هذه الوتيرة إلى أيامنا هذه، فعلى سبيل المثال قسّم الرئيس الراحل (دنغ شياو بينغ Deng Xiaoping) فترة الإصلاح إلى مراحل تبدأ بإطعام الصينيين، ثم إلباسهم وإسكانهم، ثم القفزة الاقتصادية التي نرى أثرها حالياً.

مراحل تطور الفكر السياسي الصيني.

قبل البدء بعرض خصائص الفكر السياسي الصيني، لا بدّ من الإشارة بإيجاز إلى أهم التطورات التاريخية التي طرأت على الفكر السياسي الصيني بعد سقوط الحكم الإمبراطوري عام 1911م. حيث يشير المهتمون في هذا المجال إلى أنّ هذه الفترة قد شهدت تحولاً في النظام السياسي الصيني القائم على الحكم الإمبراطوري، ليظهر عدد من المثقفين الذين مضوا قدماً في البحث عن أسلحة أيديولوجية متنوعة مكتسبة من الغرب. فقد انتشرت في الفترة ما بين عام 1911-1919م، العديد من الأيديولوجيات الغربية مثل فلسفة "كانت"، والتي حظيت بتأييد عدد من التقدميين أمثال (يان فو Yan Fu)*، أحد مفكري الحركة الإصلاحية عام 1898م، التي دعت إلى تطوير وتأييد حقوق الشعب والمرأة، وعارضت احترام الحاكم وتقديسه.¹ كما حاول المثقفون في هذه المرحلة إعادة إحياء شعارات المساواة والحرية والإخاء انطلاقاً من إيمانهم بأنّ هذه الشعارات تشكل الأساس لإقامة جمهورية برجوازية حديثة، فضلاً عن محاولاتهم لإدخال فلسفات أخرى، مصدرها الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة. ومن هذه الفلسفات، البراغماتية التي حاول من خلالها المثقفون الوقوف في وجه انتشار الشيوعية في الصين. لكن بعض هذه الفلسفات لم تلق قبولاً واسعاً في الساحة الصينية بسبب تأصل الأفكار القديمة كالكونفوشيوسية في عقول الصينيين، ما دفع بالمثقفين إلى محاولة دمج الأنظمة القديمة كالنظام الإقطاعي مع الأفكار الغربية. لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت بمثابة الصدمة الثقافية الجديدة للمثقفين، وبدأت تتشكل حركات أيديولوجية "كالحركة الثقافية الجديدة" التي رفعت رايتي العلم والديمقراطية، انطلاقاً من أنّ افتقار الصين لهما كان السبب الرئيس لتخلفها.

*يان فو: قام يان فو بترجمة كتاب التطور والأخلاق من تأليف الفيلسوف الإنجليزي هكسلي، وقد عد هذا بداية الدعوة لأفكار لم تعرفها الصين من قبل مثل الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح.

¹ خه جاو وو وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، ترجمة عبد العزيز حمدي، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2004)، ص: 743-751.

منذ عام 1919م دخلت الصين مرحلة جديدة هي مرحلة الثورة الديمقراطية، ما أسهم في انتشار الماركسية التي كانت سبباً في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني، والذي اتخذ من الفلاحين القاعدة الشعبية له. في يوليو عام 1921م، اجتمع في شانغهاي ثلاثة عشر رجلاً، منهم (ماو تسي تونغ (Mao Zedong)، وقرروا إعلان الحزب الشيوعي الصيني، فكان ذلك الاجتماع هو المؤتمر الأول للحزب.

في سنة 1924م تحالف الحزب الشيوعي مع حزب الكومينتانغ، لتشكيل "الجبهة المتحدة" الأولى لمحاربة الوجود الأجنبي في الصين. وشكل الحزبان الجيش الثوري الوطني. في سنة 1927م، نقض زعيم الكومينتانغ (تشانغ كاي شيك Chiang Kai-Shek) اتفاق "الجبهة المتحدة" فدخل الحزبان في حرب أهلية حتى تشكلت "الجبهة المتحدة" الثانية في سنة 1936م، استعداداً لمقاومة العدوان الياباني.¹ استمر تحالف الحزبين حتى أوائل سنة 1941م، عندما وقعت "حادثة الجيش الرابع الجديد"، حيث غدرت قوات الكومينتانغ بقوات الشيوعيين أثناء انسحاب الأخيرة من مواقعها في مقاطعتي آنهوي وجيانغسو. ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية في سنة 1945م، وبعد هزيمة اليابان دخل الحزبان الشيوعي والكومينتانغ في مرحلة صراع جديدة، حسمها الحزب الشيوعي لصالحه من قواعد الريفيّة الحصيّة، وانسحبت قوات الكومينتانغ إلى جزيرة تايوان ليعلن (ماو تسي تونغ (Mao Zedong) زعيم الحزب الشيوعي الصيني، في أكتوبر سنة 1949م قيام جمهورية الصين الشعبية. وقيام الصين الجديدة، انتقل الحزب الشيوعي الصيني من الثورة إلى الدولة، فكان عليه أن يعيد بناء الصين اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً. فشرع في تطبيق أول خطة خماسية للتنمية، تضمنت إصلاح الأراضي، والإصلاح الاجتماعي، والإصلاح الثقافي، والتخطيط الاقتصادي. وقد قادت تلك التغييرات إلى ما يُسمى بالقفزة الكبرى إلى الأمام والإصلاح الثقافي البروليتاري العظيم.

¹ حسين إسماعيل، الحزب الشيوعي الصيني - من الثورة إلى بناء الدولة، بكين: موقع الصين بالعربية، 15- يوليو- 2011
http://arabic.china.org.cn/news/txt/2011-07/15/content_22996638.htm تم الاسترجاع: 2014-8-18

نظر الحزب الشيوعي الصيني بانفتاح إلى العالم الخارجي، وخاصة دول آسيا والشرق الأوسط. واستطاع أن يجعلها تقيم علاقات دبلوماسية مع الصين برغم اختلاف القيم والمفاهيم السياسية والنظم في تلك الدول عما هو في الصين. حققت الصين في تلك الفترة إنجازات ملحوظة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. لكن الحزب الشيوعي في تحوله من الثورة إلى الدولة، دخل مرحلة خطيرة عندما اشتعلت "الثورة الثقافية الكبرى" من سنة 1966 حتى سنة 1976م، ففي هذه المدة ثار الشباب الصيني في محاولة لتطهير البلاد من العادات البرجوازية بما في ذلك الأزياء والثقافة والموسيقى السيمفونية. في عام 1966م، دعا (ماو تسي تونغ Mao Zedong) لبدء الثورة الثقافية في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. وتشكل الحرس الأحمر لمعاينة مسؤولي الحزب ممن تظهر عليه ميول برجوازية، وقد لجأ إلى تلك الخطوة للتخلص من خصومه في الحزب الشيوعي. المهم في هذه المرحلة أن الصين قد فرضت على نفسها عزلة دولية أدت إلى تخلفها اقتصادياً، كما أن الفكر السياسي في هذه المرحلة اعتمد بشكل أساسي على أيولوجية شيوعية واضحة، لتبدأ مع نهاية الثورة الثقافية موجة إصلاحات في الخط اليساري المتشدد، دفعت بالرئيس (دنغ شياو بينغ Deng Xiaopin) إلى انتهاج سياسات الإصلاح الاقتصادي منذ عام 1978م.

تطور الفكر السياسي الصيني بعد الحرب الباردة.

مرّ العالم في فترة الحرب الباردة وبعد الحرب العالمية الثانية بعدة مراحل، كان أهمها غزو الاتحاد السوفيتي أفغانستان، وانهدم جدار برلين وتوحد الألمانيتان، وهو ما ترافق مع فترة الإصلاح في الصين. ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لنتهي فترة ما بعد الحرب الباردة لتبدأ فترة جديدة شهدت تغييرات دولية وإقليمية عديدة، جعلت منظري السياسة يعيرون اهتماماً أكبر في كتابتهم لصراع الحضارات وبالذات بين الحضارة العربية والشرقية والحضارة الغربية، بلّ وتمّ الاستغناء عن العدو الاستراتيجي الغربي ليظهر الإرهاب كعدو للعالم. وبذلك، وبسبب انهيار الاتحاد السوفيتي قامت

الولايات المتحدة كما جاء على لسان الرئيس (بوش الأب) بتصنيف نفسها كقطب أوجد في العالم، في إشارة إلى التفرد في بناء نظام دولي جديد تكون الولايات المتحدة القائد له. ما يهيم هنا الرد الصيني على هذه التصريحات لأنها تشكل الأساس الذي صاغت فيه علاقاتها الدولية، وفكرها السياسي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ومرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فبعد أن انضمت الصين إلى عدد من المنظمات الدولية كمنظمة التجارة العالمية في عام 2001م، ومشاركتها في تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون، واستضافتها للألعاب الأولمبية، ألقى الرئيس (جيانغ زيمين Jiang Zemin) خطاباً هاماً في الذكرى الثمانين لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني في عام 2002م، شمل رفض الصين الصريح للهيمنة الأمريكية كقطب أوجد في العالم.¹ بل ورأى ضرورة قيام عالم متعدد الأقطاب يستند إلى المبادئ الخمسة للتعايش السلمي. كما أشار الرئيس جيانغ إلى أنه خلال المئة عام الماضية -منذ أواسط القرن التاسع عشر- كان النضال الذي خاضه الشعب الصيني يهدف إلى استقلال الدولة وتحرير الأمة. أما النضال الذي يقوم به الشعب الصيني خلال المئة سنة اللاحقة والممتدة من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الحادي والعشرين، يهدف بالكامل إلى تحقيق القوة والازدهار للوطن والرفاهية للشعب الصيني. يُفهم من هذا الخطاب أنّ انضمام الصين إلى نظام عالمي جديد لم يكن مبنياً في الأساس عليهم، ما يشكل اختلافاً في أفكارهم القديمة المتضمنة معتقدات تعرّفها على أنهم مركز الأرض، لكنهم من جانب آخر أحسّوا بضرورة الإصلاح الداخلي في هياكل الدولة، وضرورة إقامة علاقات مصالح مع الدول الأخرى، ما يشكل اعتماداً على مبدأ البراغماتية. وهو ما يختلف عن الفترات السابقة التي كانت تعتمد فيها الصين على الأيدولوجية لإدارة شؤون الدولة.²

¹ خالد رحموني، الصين والصعود إلى القمة، السعودية: مركز نماء للبحوث والدراسات، 22-نوفمبر-2012.

<http://www.nama-center.com/ActivitieDatials.aspx?id=157>

² د.ك. مكانة الصين الدولية بعد الحرب الباردة واستراتيجيتها الخارجية، بكين: المركز العربي للمعلومات، 20-مايو-2005.

<http://arabsino.com/articles/10-05-24/2429.htm>

حالياً تنتهج الصين المبدأ نفسه في القضايا الخارجية مع اتخاذ الحذر في التعامل مع المسائل العالمية. فهي من جانب ترى أنّ المصلحة قد تكون في جانب من الجوانب مع إحدى الدول، بينما تقتضي الحاجة معارضة الدولة نفسها في قضية أخرى. وأفضل مثال على ذلك العلاقات الأمريكية الصينية، حيث أنّ حجم التبادل التجاري بين البلدين في تطور مستمر، بينما تعارض الصين خطط الأخيرة للتدخل في شؤون الشرق الأوسط، التي تتبع من حرص الصين على مصالحها القائمة في المنطقة، كاستمرار وصول النفط إليها. لكن هل سيكون للصين الدور في قيادة المنظومة العالمية إذا ما انهارت الولايات المتحدة؟

تعرف الصين نفسها على أنّها ما زالت في طور النمو، لكنها في تغير مستمر دفعها إلى إقامة العلاقات مع الأعداء القدماء. يرى الباحثون أنّ الصين بحاجة إلى تعديل لوائحها في مجالات حقوق الإنسان، والانخراط المتزايد في المسائل العالمية، لتكون قادرة على بناء عالم متعدد الأقطاب، إذ يتضح أنّ الصين تنتهج فكراً سياسياً مختلفاً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ما أكسب سياستها الخارجية ملامح جديدة. أهم تلك الملامح هي¹:

أ- تحديد موقفها وسياستها في جميع الشؤون الدوليّة، انطلاقاً من المصالح الأساسية للشعب الصيني، ورفض الضغوط والتحالفات العسكرية مع القوى العظمى.

ب- معارضة الهيمنة وصيانة السلام العالمي، فتشير التصريحات الرسمية أنّ الصين تعتبر جميع الدول أعضاء في المجتمع الدولي مهما تباينت قوتها ولن تحاول فرض أيديولوجيتها السياسية على الآخرين، وفي نفس الوقت لن تسمح بأن تفرض أي دولة أيديولوجية معينة عليها.

¹ وليد عبد الحي، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010، (الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2000)، ط1، ص. 120-140.

ت- العمل على بناء نظام دولي عادل و متماسك اقتصادياً وسياسياً، ليعكس رغبات الشعوب المختلفة ومصالحها المشتركة.

ث- إقامة وتطوير علاقات الصداقة والتعاون مع جميع البلدان على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي.

ج- إنَّ الصين بصفتها دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن، تشترك في إيجاد حلول سياسية لقضايا إقليمية ساخنة، وتساهم في بعثات حفظ السلام الدولية التي تشرف عليها الأمم المتحدة.

المبحث الثاني: محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا.

لا شك أنّ الأزمة السورية أدت إلى تكوين نقطة التقاء لعدد من الأنظمة الإقليمية والدولية، في ظلّ المصالح المتضاربة للعديد من دول المنطقة، ما دفع بالمحللين لاعتبار هذه الأزمة نقطة تحوّل في العديد من السياسات الخارجية للدول المنخرطة بشكل مباشر أو غير مباشر في الأزمة. سيركز هذا المبحث على أهم العوامل والمحددات في سياسة الصين الخارجية والتي دفعتها للانخراط في هذه الأزمة.

أولاً: محدد علاقات الصين مع الدول الكبرى

أ- علاقة الصين بالولايات المتحدة الأمريكية كمحدد لسياستها الخارجية تجاه سوريا

يرجّح المراقبون أنّ عدداً من الأهداف كانت وراء وقوف الصين بجانب النظام السوري في تطور مهم للعلاقات بين الجانبين منذ تأسيس الدولتين. فالعلاقات بين الجانبين لم تأخذ الطابع الجدي كما هي في السنوات الأخيرة، فالموقف الصيني من سوريا يحتاج لتحليل أبعده من مجرد ربط سياسة هذه الدولة بالدولة ذات موضوع النزاع، بلّ لا بدّ من توسيع دائرة الترابط ليشمل علاقتها مع الدول الأخرى ذات النّقل الإقليمي والدولي، فعند تتبع - على سبيل المثال - العلاقات التجارية بين الصين وسوريا، نجد أنّ حجم التبادل التجاري في عام 2010م وصل إلى 1,63 مليار دولار، شكّلت الصادرات الصينية منها 5,2%¹ وهذا يعني أنّ سوريا لا تشكل نقطة جذب اقتصادي للصين، ما يستدعي البحث في عوامل أخرى للسلوك الصيني داخل سوريا. والباحث في هذا الموضوع يجد أنّ الفيتو الصيني لمرتين متتاليتين - مع العلم أنّ الصين قد قامت للمرة الأولى منذ تأسيسها، باستخدام حق النقض مرتين

¹ حجم الميزان التجاري بين سورية والصين وصل في 2010 إلى أكثر من 75.16 مليار ليرة، أخبار سوريا، 2014-9-23
http://syria-news.com/readnews.php?sy_seq=149898

متتاليتين في القضية نفسها- كان أحد ردود الفعل المباشر على الإعلان الأمريكي الذي حدد سياستها في منطقة

المحيط الهادئ الآسيوية. وقد تجلّى ذلك في مقالة (هيلاري كلينتون) عام 2011م، بأنّ على الولايات المتحدة الأمريكية تركيز جهودها نحو الاستثمار الدبلوماسي والاقتصادي في منطقة المحيط الهادئ، لأنّ القرن الحادي والعشرين هو قرن المحيط الهادئ مثلما كان القرن العشرون هو قرن المحيط الأطلسي.¹ وهو ما تلاقى مع تصريح الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) في كانون الثاني عام 2012م، بأنّ على الولايات المتحدة مراجعة منظومتها الدفاعية المتركزة في آسيا ومنطقة المحيط الهادئ.² إضافة إلى ذلك فإنّ المناورات العسكرية الأمريكية المشتركة مع اليابان وكوريا الجنوبية تهدف من وجهة النظر الصينية- إلى خلق طوق أمني حول الصين الصاعدة. علاوة على ذلك فإنّ انتقادات الولايات المتحدة للصين بسبب زيادة انفاقها العسكري، والمطالبة برفع أسعار العملة وسنّ قوانين الملكية الفكرية وحقوق الطبع، جعل من وزير الخارجية الصيني يصرّح بأنّ على الولايات المتحدة احترام مصالح الصين في هذه المنطقة.³ كلّ ما سبق يشير إلى زيادة حدّة التوتر بين الجانبين، وقد شكلت الأزمة السورية فرصة لبعض الردّ.

إنّ قرار الولايات المتحدة ببيع أسلحة لتايوان في صفقة قيمتها ستة مليارات دولار، كان دافعاً للصين للتحرك في سوريا، خصوصاً بعد أن أدركت الصين أنّ عدم استخدام حقّ النقض الفيتو في ليبيا قد فهمته الدول الكبرى الغربية فهماً خاطئاً، ما جعلها تدرك أنّها قد أخطأت في سماحها لهذه الدول بتنفيذ ضربات جوية فيها، وهو ما لا ترغب الصين في أن تُعاد هذه التجربة في الأراضي السورية، انطلاقاً

¹ أحمد علو، "التحول الجيوستراتيجي الأمريكي في شرق آسيا وجنوبها"، لبنان: مجلة الجيش اللبناني، ع 325، تموز- 2012. <http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?32029#.VCGkG5SSz9o>

² نبيل نايلي، "الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية الجديدة"، الأردن: المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2012-1-16. <http://www.airss.net>

³ الصين تدعو الولايات المتحدة إلى احترام مصالحها وانشغالها بمنطقة آسيا-المحيط الهادئ، مجلة المنار. <http://www.menara.ma> / تم الاسترجاع: 2014-11-15.

من مبادئ تؤمن بها مثل حقّ الشعوب في تقرير المصير خصوصاً وأنها عانت من التدخل الأجنبي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ناهيك عن العقوبات التي فُرضت عليها بقيادة الولايات المتحدة لسنوات طويلة إبان فترة الحرب الباردة، التي جعلت الصين حساسة للغاية إزاء كل من نظام التدخل والعقوبات على الدول الأخرى. أما الجانب الآخر لمحددات الصين في سوريا فيمكن في استقبال الولايات المتحدة لزعيم الأقلية البوذية (الدلاي لاما) في عام 2011م، ما اعتبرته الصين في تصريح على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية الصينية، أنه تدخل في شؤونها الداخلية وأنّ عليها التوقف عن تشجيع الجماعات الانفصالية في التبت وفي الأقاليم الانفصالية الأخرى، خصوصاً أنّ التقارير الأمريكية المهمة بحقوق الإنسان، لا تملّ من انتقاد الصين لطريقة التعامل مع هذه الأقاليم ومطالبتها بإصلاحات داخلية مهمة، للتحوّل إلى النظام الغربي الليبرالي. وهو ما تردّد عليه الصين بالرفض وتعتبره تدخلاً في شؤونها ومحاولة لفرض النظام الغربي الليبرالي داخل الصين. ويعدّ تدخّل الصين في الأزمة السورية محاولة من جانبها للردّ على هذه السياسات، مع العلم أنّها تخشى من أن يصل صدى الثورات العربية إلى أراضي الصين بسبب الأقليات المطالبة بالانفصال.

من جانب آخر يتفق بعض الكتاب والأكاديميين على أنّ الولايات المتحدة غير معنية أن يفقد النظام الشيوعي قوته داخل الصين، لأنّ في ضعف الحزب الشيوعي كوارث عالمية قد تحصل إذا ما تفككت الصين بسبب الأعداد الكبيرة الموجودة، والتي من غير الممكن السيطرة عليها، لكنها تسعى إلى إبقاء الصين قوية ضمن الإطار الإقليمي متخوفة من أن يكون صعودها كقطب عالمي مؤثراً على الولايات المتحدة، خصوصاً وأنّ اقتصادها المنافس للولايات المتحدة يجعلها دولة محتملة الصعود كقطب عالمي جنباً إلى جنب مع روسيا الاتحادية، التي تقف بجانبها اليوم في مواجهة التدخّل الغربي في سوريا. وبالإشارة إلى العلاقات الصينية الروسية فإنّ هذا الأمر تراعيه الصين في تدخلها في الأزمة السورية، بلّ وأنه أحدّ المحددات الرئيسية في تعاملها مع النظام والمعارضة السورية.

ب- العلاقات مع روسيا الاتحادية وإيران كمحدد لسياسة الصين الخارجية تجاه سوريا

تسعى الولايات المتحدة إلى تطويق روسيا في حرب باردة جديدة بين الطرفين. لكن الجديد هو تدخل الصين كطرف في النزاع بشكل مغاير لما كانت عليه إبان فترة الحرب الباردة الأولى. أما روسيا فتسعى إلى مواجهة هذا التطويق عن طريق اتجاهاها في علاقاتها مع دول أخرى منها سوريا وإيران والصين. وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية العلاقات المترابطة ما بين الصين وروسيا، من أجل فهم طبيعة التفاعلات السياسية الصينية داخل سوريا. فالبلدان يشتركان في حدود يصل طولها إلى نحو 3500 كيلومتر. كما أنّ الصين تعدّ الشريك التجاري الأول لروسيا. وخلال لقاء جمع الرئيس (بوتن) مع مسؤول في مجلس الشعب الصيني عام 2011م، أشار الأول إلى أنّ حجم التبادل التجاري بين البلدين وصل إلى 70 مليار دولار عام 2010م، مع توقعات وصوله إلى 100 مليار دولار عام 2015م، وتضاعفه عام 2020م¹ ما يعني وجود مصالح اقتصادية هامة بين الجانبين جعلت من الصين تقف إلى جانب روسيا في الأزمة السورية، لتخوّفها من أن يؤثر التطويق الغربي لروسيا على المصالح الاقتصادية بينهما.

إنّ الجانبين أعضاء في منظمات إقليمية موحدة، حيث يشارك الطرفان في منظمة شنغهاي، إضافةً إلى كونهما عضوان في اللجنة السادسة الخاصة بالملف الكوري، ودول البركس ومجلس الأمن. ويشترك الطرفان في العديد من المبادئ الاستراتيجية الحاكمة لعلاقتها الدولية كتكريس مبدأ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. وهو ما أكّدته قمة دول البركس التي انعقدت في الهند في أواخر مارس من عام 2012م.

¹ (1) وليد عبد الحي، "محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية" قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 3-ابريل-2012. <http://studies.aljazeera.net/reports/2012/04/20124314543996550.htm>

يشعر الطرفان بأنّ الدول الغربية قد تجاوزت حدود التفويض الممنوحة لها من مجلس الأمن كما حصل في الحالة الليبية. إضافةً إلى ذلك، فإنّ الدولتين ترفضان الهيمنة الأمريكية كقطب أوجد في العالم، ويشكّان في نواياها الهادفة إلى فرض النظام الغربي على الدول الأخرى. كل هذا إلى جانب علاقة الصين الاستراتيجية مع إيران كحليف سوريا الأول في المنطقة، جعل الصين تتخبط في هذه المسألة. أما فيما يختصّ بالعلاقات التجارية الصينية مع إيران، فإنّ الأخيرة تحتل المرتبة الرابعة في الاستثمارات الصينية، فعدد الشركات الصينية العاملة في إيران ارتفع من 100 شركة عام 2010م، إلى 166 شركة عام 2011م.¹ ما يعني أنّ الشركات الصينية تستثمر الانسحاب الغربي من السوق الإيرانية لتملأ الفراغ الذي تركته، إضافةً إلى مشاركتها لنفس الرؤية السياسية الراضية للهيمنة الأمريكية.

ثانياً: المحدد الاقتصادي لسياسة الصين الخارجية تجاه سوريا

هنالك بُعد آخر لحسابات الصين الاستراتيجية في سوريا، كان سببه اختلال المنظومة المناخية وارتفاع درجات الحرارة التي أدت إلى ذوبان الجليد في المحيط المتجمد الشمالي، وظهور ثروات في تلك المنطقة، ليشكّل ذلك أهمية جيوسياسية وجيواقتصادية للدول القطبية الثماني (الولايات المتحدة، روسيا، وكندا، والنرويج، والدنمارك، وإيرلندا، والسويد، وفنلندا).

تشير الدراسات إلى أنّ 25% من الاحتياطات النفطية العالمية موجودة في هذه المنطقة، إضافةً إلى ظهور طرق مواصلات جديدة في المنطقة أهمها الممر الملاحي بين الشمال والغرب، حيث بدأت

¹ محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، مرجع سابق.

مساحات كبيرة من الجليد في التلاشي منذ عام 2007م¹؛ الأمر الذي فتح الباب أمام فكرة الإبحار خلاله في المستقبل المنظور.

لم تكن الصين بعيدة عما يجري هناك رغم بعدها الجغرافي، حيث وضعت بكين هذه المنطقة ضمن اهتماماتها الاستراتيجية منذ نهاية العقد الماضي. وصرّحت الصين بأنّ هذه المنطقة ملك وتراث إنساني مشترك، لا يمكن لأية دولة الادعاء بالسيادة عليها، خصوصاً وأنّ الصين تحوي خمس سكان العالم، وهو ما ترفضه الدول الثماني لوجود مصالح لها في المنطقة. فسعت الصين إلى استخدام الثورات العربية عموماً والثورة السورية خصوصاً كوسيلة ضغط على الدول الغربية من أجل الحصول على هذه الموارد والمشاركة فيها، لا سيما أنّ الموقع الجيوسياسي لسوريا يجعلها مهمة للغرب ويخولها بأن تكون وسيلة ضغط أساسية في المستقبل كونها الرابط الأساسي للبحار الخمسة.

ثالثاً: البعد الأمني كمحدد لسياسة الصين الخارجية تجاه سوريا

إنّ الحسابات الصينية بشكل أو بآخر، قائمة على التفاعل التركي في المنطقة بسبب الامتدادات الديموغرافية لها داخل الصين في إقليم (سينكيانج) المسلم. ومن هنا فإنّ الصين تفهم الدور التركي الصاعد في المنطقة، خاصةً بعد وضع الدرع الصاروخي للناتو في تركيا². فأصبحت سوريا بذلك خط الدفاع الأول لروسيا، وما قبل الأول للصين، في صراع ذي أبعاد دولية على الجغرافيا السياسية لعالم ما بعد الحرب الباردة، وما قبل التعددية القطبية. إذاً يتوجب أن يُطرح سؤالٌ مهمٌ لتوضيح محددات السياسة الخارجية الصينية في سوريا، وهو هل سوف تتخلى الصين عن سوريا في حال اقتضت المصلحة ذلك؟

¹ هشام بشير، "التنافس على قمة العالم: صراع القوي الكبرى على القطب الشمالي"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- أكتوبر-
<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=691737&eid=8752011>

² ابراهيم علوش، نحو فهم أعمق للحسابات الروسية والصينية في معركة سوريا، دمشق: الصوت العربي الحر، 7- يوليو-2012.
<http://freearabvoice.org/?p=1900>

لقد ذكر الباحث فيما سبق أنّ الصين من الدول البراغماتية لكنّها تأخذ بمبدأ الأخلاق في التعامل مع القضايا الدوليّة. ومنذ اندلاع الأزمة السورية سارعت الصين للوقوف إلى جانب النظام السوري بل عارضت أي تدخّل فيها.

لكن الصين قد ارتأت أن تغيّر من خطابها السياسي حرصاً منها على علاقتها بالدول الأخرى خصوصاً وأنّها تعدّ نفسها في طور البناء الاقتصادي. ففي الحادي والعشرين من أكتوبر من عام 2011م، سارعت الصين بالتلويح برفع الغطاء السياسي عن النظام السوري ما لم يسرع بتنفيذ وعوده الإصلاحية، لكن المتحدث باسم الخارجية الصينية (ليو وي)، لم يغفل عن رفض العنف المتزايد في سوريا سواء أكان من طرف النظام أم من المعارضة. وبالرغم من ذلك فإنّ النظام السوري لا يزال يرى في كل من الصين وروسيا، النافذة الأهم على العالم الخارجي في ظلّ العقوبات الأمريكية والأوروبية عليه.¹ وهنا يرى الباحث أن الصين مستعدة للتدخل العسكري في سوريا لو اقتضت الضرورة، دفاعاً عن مصالحها في منطقة الشرق الأوسط. لكن في حال انتهت هذه المصالح فستتخلى الصين عن سوريا فوراً، لأنها تتجه إلى دراسة ردود الأفعال المحسوبة قبل الإقدام على أية أفعال قد تورطها في منطقة الشرق الأوسط عموماً وسوريا خصوصاً. فترى أنّ التعاون الاقتصادي يحتاج إلى توفر الأمن والسلم في العالم من أجل الاستثمارات التي تتأثر بأي إجراءات أو سياسات تتسبب في عدم الاستقرار. لذلك تسعى الصين إلى تهدئة الواقع وحلّ الإشكاليات الدوليّة بطرق دبلوماسية من خلال علاقة صفر مشاكل مع العالم الخارجي.² كما يرجّح أن تسعى الصين في المستقبل إلى إيجاد قواسم مشتركة مع الجامعة العربية -التي تؤيد في معظمها المعارضة السورية- بعدما حصل شرخ في العلاقات معها بسبب موقفها الداعم للنظام، لكن الصين لن تتنازل عن حقها في الدفاع عن مصالحها في منطقة

¹ هل تتخلى الصين عن النظام السوري؟، الجزيرة نت، 23-9-2014

<http://www.aljazeera.net>

² يزيد صايغ، "موقف الصين حيال سوريا"، لبنان: مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 9-فبراير-2012.

<http://carnegie-mec.org/publications/?fa=47149&reloadFlag=1>

الشرق الأوسط دون حلّ يضمن لها البقاء بنفس القوة التي كانت تتمتع بها طوال فترة مساندتها للحكومة في سوريا.

هنالك بُعد آخر لسياسة الصين في سوريا نتج بعد أن أحسّت الصين بأن الولايات المتحدة تسعى للخروج من منطقة الشرق الأوسط،¹ أو على أقلّ تقدير لن تُصبح للمنطقة نفس الوزن الاستراتيجي الذي تمتعت به طوال العقود الماضية، وذلك بسبب كميات النفط الهائلة التي تمّ اكتشافها في كندا والبرازيل، إضافةً إلى محاولة تطويرها للعديد من التقنيات لاستخدام الطاقة البديلة والطاقة الكامنة في باطن الأرض كبديل مستقبلي للنفط.

من هنا رأت الصين في تدخل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، محاولة لزعزعة استقرار المنطقة العربية لسدّ الطريق أمام إمدادات النفط التي تصلّ إليها، مع العلم أنها تشكّ في نوايا الغرب، حيث تعتقد أنّ الغرب يستخدم حجج وذرائع التدخل من أجل حماية البشر، ليحقق مصالحه في المنطقة كما في تصريح الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) توجّه الولايات المتحدة للمصالحة مع الإسلام السياسي، ما رأت فيه الصين محاولة لتوظيف هذا الأمر للتدخل في الداخل الصيني، من خلال العديد من الأقليات الصينية المسلحة الموجودة في الداخل الصيني والتي يحارب بعض أفرادها إلى جانب المعارضة في سوريا، وهو ما تخشى أن يكون امتداد لزيادة التحركات في الأقاليم الصينية ذات الأثرية المسلمة.

¹ ستيفن والت، "رؤية أمريكية لخروج أمن من الشرق الأوسط"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية. <http://www.siyassa.org> تم الاسترجاع: 2014-9-26.

فالصين لديها ما لا يقل عن 25 مليون نسمة من المسلمين. لذلك تشكل المنطقة العربية خط الدفاع الأول عن مصالحها في آسيا الوسطى والقوقاز، التي تعدّ الجسر الموصل للبتروول لها من روسيا الاتحادية.¹

إنّ أحدّ محددات الصين الرئيسية في المسألة السورية نابع من محدد أمني داخلي للصين، حيث امتازت في الفترة الأخيرة بالقدرة على مواجهة الضغوط، وامتلاك بدائل مكنتها من توسيع قاعدة علاقاتها الدولية بعد أن وصل حجم التجارة الخارجية لها في عام 2010م إلى ما يقارب 2.8 تريليون دولار.² وقد اعتمدت الصين عليه في زيادة نفوذها في العالم، والتحرك نحو بناء عالم متعدد الأقطاب يسوده الأمن وفقاً للمبادئ الخمسة للتعايش السلمي.

لقد جاء الموقف الصيني في فترة عانت فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من أزمة مالية خانقة دفعت الرئيس "أوباما" إلى محاولة تخفيض الإنفاق العسكري، من خلال تقليص الدور العسكري الأمريكي ووضع استراتيجيات عالمية مشتركة لتبديل الانتشار الواسع للقوات الأمريكية، بقوات مشتركة أصغر حجماً تمتاز بالتفوق التكنولوجي، لتكون على أهبة الاستعداد للتحرك لحلّ المشكلات الدولية.³ ما رأت فيه الصين بداية ضعف للقطب الواحد وموقع قوة لها لاستعادة المركز الذي يليق بثقلها الدولي.

إنّ الصين عارضت أي تدخل عسكري في سوريا، حتى ولو كان الأمر قائم على محاربة التنظيمات الإرهابية فيها كتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، خوفاً من أن يؤدي هذا لرفع أسعار النفط في المنطقة، ما يشكّل عائقاً أمام وصول إمدادات النفط لها بأسعار معقولة. فضلاً عن أنّ أي

¹ موسكو وبكين تخشيان الربيع العربي، الجزيرة نت، 26-9-2014

<http://www.aljazeera.net>

² حجم التجارة الخارجية للصين وصل 2.8 تريليون دولار عام 2010، موقع الصين اليوم، 27-10-2014

<http://arabic.people.com.cn/31659/7185671.html>

³ د.ك، ما الذي يحدد الموقفان الصيني والروسي من الأزمة السورية؟، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، شباط-2012، ص. <http://www.dohainstitute.org/file/Get/7766e1b3-ed44-4a3c-9dab-9b5a41d6cf36.pdf2>.

تدخل حتى ولو كان لمحاربة هذه التنظيمات قد يفتح الباب أمام موجة حراك عسكري، الصين بغنى عنه خصوصاً وأنّ العراق المجاور لسوريا يشكّل مورد نفطي مهم للصين، إضافةً إلى وجود ما يقارب عشرة آلاف عامل صيني يعملون في شمال العراق.¹

لذلك فهي تحتاج إلى استقرار المنطقة من أجل القيام باستثمارات في الشرق الأوسط وإعادة طريق الحرير القديمة التي كانت تربط بين العالم القديم والشرق الأوسط؛ الأمر الذي سيؤدي في المحصلة النهائية لتعزيز علاقاتها مع دول العالم العربي، خصوصاً أنّ الصين من أقلّ الدول نفوذاً في العراق، ما يشكل ضرورة حماية المصالح فيه عن طريق سوريا.

¹ دور الصين في حل الازمة العراقية هو حماية مصالحها وتحقيق الاستقرار في العراق وليس التدخل، بكين: موقع الصين اليوم، 14- يوليو-2014. <http://arabic.peopledaily.com.cn/n/2014/0714/c31660-8755299.html> تم الاسترجاع: 26-9-2014.

الفصل الرابع: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا 1949-2014

تمهيد:

لا شك أن السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا أخذت الطابع البراغماتي في العلاقات ما بين الجهتين. فمن المعروف أن سوريا تحتل موقعاً استراتيجياً في الشرق الأوسط يجعلها تربط الغرب بالشرق، ما دفع الصين لإقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية النابعة من المصلحة المشتركة للطرفين والمبنية على الأسس، والمعايير الخمسة للتعايش السلمي. كما أن الطرفين تجمعهما قضايا رئيسية ظهرت في فترات مختلفة من عمر الدولتين من بدايات طريق الحرير القديمة، مروراً بمعارضة تفرد الولايات المتحدة كقطب أوجد في العالم، انتهاءً بثورات الربيع العربي. سيحاول هذا الفصل رصد تطورات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا في فترات مختلفة، مبيناً أهم توجهاتها. وهنا لسنا بصدد أن نذكر العلاقات بين الجانبين، لأن في ذلك اختلاف كبير عن مفهوم السياسة الخارجية -على الرغم من الارتباط بين المفهومين. فالسياسة الخارجية تعدّ فعلاً أو رد فعل من طرف واحد تجاه أحد القضايا التي تهّم صانع القرار، أما مفهوم العلاقات فهو ذو طبيعة تفاعلية، ينتج للردّ على فعل قامت به إحدى الدول تجاه الأخرى.

قسّم الباحث هذا الفصل لعدة مباحث، ليتناول في المبحث الأول السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا (1949-2000م). أما الثاني فقد خصّ لدراسة السياسة الخارجية الصينية ما بين عامي (2001-2010م). والثالث جاء بالسياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا ما بين (2011-2014م)، وهي فترة الثورات العربية. لكن في البداية لا بدّ من الإشارة إلى أهم القضايا التي تخصّ الجانبين الصيني والسوري، والتي لا يمكن فصلها عن توجهات السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط بشكل عام كالصراع العربي الإسرائيلي الذي نال حصة كبيرة من توجهات هذه السياسة.

سعت الصين منذ بداية استقلالها إلى تأييد حركات التحرر في الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا، بلّ واعتبرت إسرائيل الأداة الغربية لتمزيق الدول العربية. في فترة العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، شجبت الصين هذا العدوان بلّ ووقفت إلى جانب مصر حكومةً وشعباً، حيث خرج أكثر من ربع مليون صيني في مظاهرات منددة بهذا العدوان،¹ وكان هذا بداية التقارب الصيني العربي في العصر الحديث، الذي دفع بعض الدول العربية إلى الاعتراف بالصين كمثل شرعي للأمة الصينية بدلاً من تايوان. لكن السياسة البراغماتية المتبعة دفعت الصين إلى تغيير وجهات نظرها في العديد من المرات تجاه هذا الصراع. فاتخذت في بدايته الموقف المحايد المتقارب مع العرب وذلك لحاجتها إلى تثبيت النظام الشيوعي، مع أنّ إسرائيل قد سبقت الدول العربية في الاعتراف بالصين الشعبية عام 1950م. تبلور الموقف الصيني المؤيد للعرب في الاجتماع الصيني المصري في بانونج عام 1955م على الرغم من أن ماو رفض تسلم ورقة الاعتراف الإسرائيلي بالصين، حيث عبّر رئيس مجلس الدولة "شو إن لاي" **Zhu En Lai** *، عن حرص بلاده على إقامة علاقات طيبة مع الدول العربية،² وشدد على ضرورة استرجاع الحق الفلسطيني المسلوب. وعلى أنّ هذه المسؤولية تقع على كاهل العرب جميعاً.

في الفترة التي شهدت توترات في العلاقات الصينية السوفيتية - اتجهت الصين إلى التقارب مع الدول العربية وقدمت إبان زيارة "شو أن لاي" **Zhu En Lai** لمصر عام 1963م، خمسة مبادئ لتوثيق العلاقات مع العرب كان أهمها، دعمها الكامل لنضال الدول العربية في مكافحة الإمبريالية والاستعمار، وتشديدها على سياستها الحيادية، ووقوفها إلى جانب القرارات العربية المشتركة الصادرة

¹ جابر سلمان ، الصين والصراع العربي- الإسرائيلي، سوريا: مجلة الفكر السياسي، ع 24، 2006 ص. 32
<http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/fikr/24/2china.pdf>

* شو أن لي: وزير الخارجية الصيني في الفترة ما بين أعوام 1949-1958، ويرجع له الفضل الكبير في تطوير العلاقات العربية الصينية.
² شادي مراد، مقدمات الموقف الصيني من الصراع العربي - الصهيوني، (الرباط: مجلة الوحدة، 2006)، العدد 69 ص. 67-72.

عنها وعدم تدخلها في منازعات العرب الداخلية، وتأييدها استقلال قرار العرب، واحترام سيادة الدول العربية جميعاً.

إنَّ الموقف الصيني الداعم لقضايا العرب، جعلها تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كمثل للشعب الفلسطيني بلّ وعرض (شو ان لاي) في زيارته لمصر، تقديم كل ما يلزم من أسلحة ومتطوعين لتحرير فلسطين في حال اتفق العرب على ذلك.

في حرب الأيام الستة (النكسة) عام 1967م، بعد أن هزمت إسرائيل الدول العربية مجتمعة، حاولت الصين توظيف هذه الحرب لمصلحة ثورتها الثقافية، فقامت بإدانة دور الولايات المتحدة في هذه الحرب، وانتقدت الاتحاد السوفيتي لتخلفه عن مساعدة العرب. وانطلقت تظاهرات شعبية حاشدة في بكين استمرت ثلاثة أيام متتالية، ضمت حوالي مليون ومئتي ألف متضامن صيني مع الشعب العربي.¹

في حرب تشرين عام 1973م، كانت الصين الداعم الأكبر للعرب خصوصاً للجبهتين السورية والمصرية، حيث استقبلت الصين مبعوثين عن سوريا ومصر ومنظمة التحرير. فأدانت الاعتداءات الإسرائيلية وأعلنت وقوفها إلى جانب الدول العربية في هذه الحرب.

بالنظر إلى تصويت الصين في الأمم المتحدة على فترة 4 سنوات منذ عام 1971 م إلى 1974 م، نجد أنها صوتت ثمان مرات لصالح قرارات تدين إسرائيل.² أما في فترة العزلة الصينية التي تراكمت مع الثورة الثقافية قامت الصين بسحب جميع سفرائها من دول العالم -ما عدا مصر- لتثبيت النظام الداخلي فيها. لكنها في سنوات الانفتاح قامت بتغيير نظرتها تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، وأيدت

¹ هشام بهياني، "سياسة الصين الخارجية في العالم العربي 1955-1975"، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1984)، ص.62.
² سعيد الحسن، العلاقات السورية الصينية: الوقائع والأفاق المستقبلية، (سوريا: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، 2006)، ص.

التسوية السلمية لهذا الصراع بما فيها المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، لكنّها بقيت على وجهه نظرها من الانتهاكات الإسرائيلية للحقوق العربية خصوصاً الفلسطينية والسورية بعد احتلالها الجولان.

وصفوة القول، أنّ السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة الشرق الأوسط مبنية في الأساس على محددات لا تنفصل عن نسق سياستها الخارجية العامة، فهي تسعى دائماً إلى تقريب وجهات النظر مع العرب من خلال الندوات والمؤتمرات المشتركة، ومحاولة الحصول على امتيازات لشركات التنقيب عن النفط الصينية في المنطقة العربية، والتعاون في القضايا المشتركة، ومكافحة الإرهاب، ودعم التبادل الدبلوماسي بين الصين والعرب.

المبحث الأول: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا (1949-2000م).

إنّ الفترة ما بين الأعوام المذكورة في عنوان المبحث، شهدت تطورات كبيرة على السياسة الخارجية الصينية، لما تراكمت مع استقلال الصين، والثورة الثقافية الكبرى، والانفتاح الاقتصادي، وبداية الحرب الباردة ونهايتها، وغيرها الكثير من المتغيّرات التي أحدثت تطورات على هذه السياسة. سيحاول هذا المبحث عرض أهمّ توجهات السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا في هذه الفترة.

لعبت التغيّرات الدوليّة في أربعينات وخمسينات القرن الماضي، دوراً أساسياً في التحولات الرئيسيّة للسياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا. فبعد انسحاب القوات الفرنسية وجدت سوريا نفسها همزة وصل للتجاذبات والصراعات الإقليمية والدولية. فكان الصراع يدبّ بين الأسرة الهاشمية من جهة وخصومها من العرب من جهة أخرى. أما الصراع الثاني فقد كان بين العرب من جهة وإسرائيل من جهة أخرى

والذي انتهى بإقامة دولة إسرائيل واحتلال الجولان في وقت لاحق. أما الصراع الثالث على سوريا فقد كان بين التيارات الدوليّة العظمى، تحديداً بين الاتحاد السوفيتي وحليفاتها - في ذلك الوقت - الصين، وبين الولايات المتحدة والمعسكر الغربي.¹

ما يهمّ هنا هو النوع الثالث من الصراع على سوريا، الذي يفسّر السلوك الصيني الخارجي. لعب الاختلاف الأيديولوجي مع الولايات المتحدة الدور الأساسي في تطور العلاقات بين البلدين. فالعلاقات بين الجانبين بدأت عام 1956م، وقد كانت سوريا الدولة الثانية من الدول العربية - بعد مصر - التي اعترفت بالصين الشعبية، فأقدمت على إرسال أول سفير لها إلى دمشق في عام 1957م.² ومن ثم بدأت العلاقات الصينية السورية تأخذ طابع الصداقة والتآخي. في عام 1965م، زار رئيس الوزراء الصيني "شو إن لاي" دمشق لأول مرة، حيث استقبله وفد سوري رفيع المستوى في مطار دمشق الدولي، وجرت محادثات هامة بين الجانبين، أعرب فيها أعضاء الوفد السوري عن تقديره لموقف الصين الداعم لنضال الدول العربية ضد الإمبريالية والعدوان الإسرائيلي. ومن جانبه حثّ رئيس الوزراء الصيني على ضرورة تطوير العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وتعبيراً عن حرص الصين على إقامة العلاقات الطيبة مع سوريا، زار نائب رئيس مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني سوريا في أيلول من نفس العام.³ لا شك أنّ الدافع من هذه الزيارات كان حشد الأصوات الدولية لمساعدتهم لإعادة الصين إلى مكانها في الأمم المتحدة. ففي عام 1971م، طرحت سوريا مع باقي الدول العربية بما فيها مصر، والمغرب، والجزائر، واليمن الديمقراطية، وموريتانيا والسودان، والصومال مشروع قرار يقضي بطرد تايوان من الأمم المتحدة، واستبدال مقعدها بالصين الشعبية، وذلك لما أبدته الصين من مواقف ايجابية في دعمها لقضايا العرب، كالقضية الفلسطينية، وأحقية سوريا في استعادة الجولان

¹ باسل الكايد، "مستقبل العلاقات العربية الصينية"، (عمان: رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2008)، ص. 84-86.

² دك، "العلاقات السياسية والاقتصادية بين الصين والدول العربية"، بكين: مركز دراسات الصين وآسيا، 2006.

<http://chinaasia-rc.org/index.php?m=9>

³ شي يان تشون، ذاكرة لا تنسى شو ان لاي والدول العربية، بكين: موقع الصين اليوم. 2014-11-20

<http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/2006n/0605/p12.htm>

المحتل. وقد أبدى المندوب السوري في كلمته التي ألقاها في اجتماع الدورة السادسة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة، تأييده لدخول الصين الشعبية وأحقيتها في مقعدها الطبيعي في المنظمة الدولية. وافقت أغلبية الأصوات على القرار رقم (2758) لعام 1971م، الذي تضمن العديد من النقاط أهمها الاعتراف بممثلي حكومة الصين الشعبية كممثلين شرعيين ووحيدين للأمة الصينية في الأمم المتحدة، واعتبار جمهورية الصين الشعبية من الأعضاء الدائمين في الأمم المتحدة، وطرد ممثلي "تايوان" من الأمم المتحدة ومن كل المنظمات التابعة لها.¹ والجدير بالذكر أنّ الولايات المتحدة الأمريكية طوال فترة الخمسينات حاولت منع الصين من شغل عضويتها في الأمم المتحدة بدلاً من تايوان، ولا شك أنّ سوريا كانت في تلك الفترة واقعة تحت تأثير سياسات الدول الغربية، لذلك لم تتخذ أي سياسة إيجابية تجاه الصين، لكنها وفي الوقت نفسه لم تساند السياسات الأمريكية، ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك امتناع سوريا عن التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على المشروع الذي تقدمت به الولايات المتحدة في شباط من عام 1951م، الذي اتهم الصين الشعبية بالعدوان لتدخلها في الحرب الكورية إلى جانب الشمالية، الأمر الذي لاقى ترحيباً صينياً في بكين.²

في عام 1957م، ساءت العلاقات الأمريكية السورية بسبب معارضة الأخيرة لمشروع آيزنهاور*، الذي يقضي بملء الفراغ الذي تركه زوال الاحتلال الفرنسي والبريطاني بعد الحرب العالمية الثانية. لاقت هذه المعارضة ترحيباً صينياً، لأنّ المشروع كان يهدف إلى حصار الدول الشيوعية لا سيما أنه أدى إلى توقّف ضخّ البترول من قناة السويس وعبر القنوات التي كانت موجودة في الأراضي السورية،

¹ حسن أبو طالب، السياسة الصينية في الشرق الأوسط، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع. 10، 2005.

² أحمد طاهر، توازنات جديدة: مستقبل العلاقات الصينية الأمريكية، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- يوليو، 2013.

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=1370395&eid=52>

*مشروع طرحه الرئيس الأمريكي آيزنهاور عام 1957 م، ويقضي بملء الفراغ الذي خلفه اندحار كل من فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

إضافةً إلى أنّ هذا المبدأ أعلن عن استعداد الولايات المتحدة للجوء إلى القوة العسكرية لدعم الأنظمة المالية لها في الشرق الأوسط.

الجدير بالذكر أنّ الصين كان لها الدور الكبير الداعم لسوريا بعد أن أرسلت تركيا -بتحريض من الولايات المتحدة الأمريكية- الأسطول السابع لتهديدها. فجاء الردّ الصيني على لسان (شو أن لاي **Zhu En Lai**) داعماً للنضال السوري بقوله " إنّ شعب الصين يعتبر نضال الشعب السوري نضاله هو نفسه".¹

بالفعل وبفضل الدعم الصيني الذي "عدّ الإمبريالية الغربية قد حلت مكان النزعة النازية الألمانية والفاشية الإيطالية والشوفانية اليابانية"، استطاعت سوريا مواجهة مطامع الولايات المتحدة فيها. تؤكد تصريحات الساسة الصينيين على العديد من التناقضات في العالم أهمها، التناقض بين المعسكرين الغربي والشرقي، وبين الإمبريالية والشعوب الخاضعة للاستعمار وبين الطبقات البرجوازية والعاملة. كان لتطویر صاروخ (سبتوتيك) السوفيتي، دورٌ كبيرٌ في دعم الصين لسوريا حيث عدّ (ماو تسي **Mao Zedong**) هذا التطوير عاملاً هاماً في تغيير القوى لمصلحة الكتلة الاشتراكية،² ما أدى إلى اتخاذ قادة الصين العديد من القرارات الداعمة لسوريا لأنها كانت أضعف مناطق نفوذ الغرب. في عام 1958م ساءت العلاقات بين الجانبين، بعد أن قامت الوحدة المصرية السورية، حيث ساندت الصين الشيوعيين السوريين وسمحت "لخالد بكداش"؛ زعيم الحزب الشيوعي السوري بالهجوم على الرئيس "جمال عبد الناصر" وعلى هذه الوحدة من على منابر بكين. فما كان من سوريا إلا أن سحبت

¹ ذاكرة لا تنسى- شو أن لاي والدول العربية، مرجع سابق

² محمد دياب، العلاقات الروسية الصينية: الغلبة للشركة الاستراتيجية. القاهرة: مجلة شؤون الشرق الأوسط، ع.62، 1997.

سفيرها وجميع الطلاب السوريين من الصين وأرسلتهم إلى الجامعات الأوروبية. وتمّ شنّ حملة على الشيوعيين في سوريا وُصفت بأنها جاءت للقضاء على الشيوعية في المنطقة.¹

في أواسط الستينات وتحديداً في عام 1964م، حققت الصين نجاحاً بانضمامها إلى نادي الدول النووي، لكنها بعد مرور سنتين دخلت الصين في مرحلة جديدة من مسيرتها الطويلة. وفي هذه المرحلة تجمدت العلاقات بين الصين ومعظم الدول العربية بسبب الثورة الثقافية، التي أثّرت تأثيراً كبيراً على الدبلوماسية الصينية وسياستها الخارجية تجاه العرب بشكل عام وسوريا بشكل خاص.

لعب التقارب السوري السوفيتي الدور الكبير في تدهور العلاقات بين سوريا والصين. فخلال الثورة الثقافية نشأت خلافات حادة بين السوفييت والصين، وذلك لاختلاف الجانبين حول شخصية ستالين، ولاعتراض الصين على سياسة الاتحاد السوفيتي التوسعية.² حيث تركزت السياسة الخارجية الصينية على الاعتراض على سعي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي للهيمنة على العالم والعالم العربي. لكن مع تأثر العلاقات الصينية السورية سلباً، إلّا أنّ الصين أبقت على الحد الأدنى من موقفها تجاه القضايا التي تخصّ الجانب السوري.³ فعندما شنّت إسرائيل عدوانها على سوريا ومصر والأردن وفلسطين في حزيران من عام 1967م، أصدرت الصين في السادس من حزيران من نفس العام بياناً شديد اللهجة، تدين فيه الاعتداء الإسرائيلي على هذه الدول العربية، جاء في هذا البيان " أنّ إسرائيل هي نتاج للسياسة الإمبريالية والعدوانية لكل من أمريكا والمملكة المتحدة، وأنّ الصين تعلن تأييدها للعرب في حريهم العادلة ضدّ إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية". في نفس اليوم أرسل "شو أن لاي **Zhu En Lai**" رسائل إلى كل من "عبد الناصر" و"تور الدين الأتاسي" و"أحمد الشقيري"، أعرب فيها عن أنّ الصين ستبقى إلى الأبد الصديق الوفي المخلص، الذي يمكن أن يعتمد عليه الشعب

¹ مستقبل العلاقات العربية لصينية، مرجع سابق، ص. 99-102.

² الحسن آغا، "الصين واليابان والشرق الأوسط"، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982). ص. 113-115.

³ هينري بييري، "الصين في طريق الاشتراكية"، (سوريا: دار أبن الوليد، 1956)، ترجمة بدر الدين السباعي.

العربي. وتعهدت بتقديم 150 ألف طن من القمح وعشرة ملايين دولار بدون شروط للدول العربية، بلّ وصرّحت بعض المصادر الدبلوماسية بأنّ الصين قد عرضت على سوريا تقديم أسلحة نووية لمساعدتها على استعادة الأراضي المحتلة. وحشدت الصين 10,000 جندي في بكين تحت شعار "من أجل نصرّة الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في كفاحها ضدّ الإمبريالية وأداتها إسرائيل".¹

رغم هذا الموقف الصيني المتعاطف مع الدول العربية في ذلك الوقت، إلا أنّ العلاقات لم تستقر. فقد استدعت الصين في بداية الثورة سفيرها في سوريا ولم يعدّ السفير لممارسة أعماله في سوريا إلا في أواخر الستينات. في عام 1973م، كان موقف الصين مؤيداً لمصر وسوريا ولحركة المقاومة الفلسطينية في حريها ضدّ إسرائيل. وانعكس ذلك التأييد لدى استقبال ممثل الحكومة الصينية في 8 تشرين الأول 1973م مبعوثي كل من مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث أدان إسرائيل، وأعلن عن استعداد بلاده للوقوف بثبات إلى جانب نضال الشعب العربي ضدّ العدوان الإسرائيلي. انتقل موقف الصين المؤيد للحق العربي إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عندما رفض المندوب الدائم الصيني لدى الهيئة الدولية التصويت على قرار (338)، القاضي بوقف إطلاق النار بين الطرفين،² لأنه لم يستنكر العدوان الإسرائيلي على سوريا والشعب الفلسطيني مع أنّ سوريا كانت قد أبلغت الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم) بالموافقة على هذا القرار مؤكدة على ضرورة الانسحاب الإسرائيلي من كل الأراضي العربية المحتلة في حرب حزيران 1967م وما بعدها. في فترة الثمانيات من القرن العشرين شهدت علاقات الصين تطوراً ملحوظاً ليس مع سوريا فحسب، وإنما مع جميع دول العالم.

¹ مسعود ظاهر، الحوار بين الثقافة العربية والثقافة الصينية: العلاقات العربية الصينية الواقع والآفاق والمستقبل، (السعودية: المجلة العربية للثقافة)، ع38- ص. 342-343.

² قرار مجلس الأمن رقم 338، موقع مجلس الأمن. تم الاسترجاع: 4-4-2015.
([http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/338\(1973](http://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=S/RES/338(1973))

في أوائل هذه الفترة فقدت أمريكا والاتحاد السوفييتي القدرة على السيطرة على الشؤون الدولية، وظهر ميل لدى الدول العربية وإسرائيل لحلّ النزاع بينهما بالطرق السلمية، لا سيما بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982م.¹ وقد دفع ذلك الصين لعقد المؤتمر الثالث للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني التي أقرت بضرورة الاهتمام بالبناء الاقتصادي، وبالتالي البحث عن بيئة دولية مستقرّة يسودها السلام. وأعطى ذلك سياسة الصين الخارجية الصبغة الواقعية التي تدعو إلى الدبلوماسية السلمية المستقلة في التعامل مع مشكلة الشرق الأوسط المتمثلة بالصراع العربي الإسرائيلي. وجاء التعبير عن هذه الواقعة من خلال:²

أ. حرص القيادة السياسية الصينية المستمر على تنمية علاقات الصين مع دول المنطقة التي تحرص على النشاط فيها من أجل إبعاد شبح القوى العظمى عنها.

ب- دعوة الصين لحلّ مشكلة الشرق الأوسط عبر القنوات السياسية بعيداً عن أي شكل من أشكال العنف، والتأكيد على حلّ النزاع القائم عن طريق التفاوض السلمي. واستغلت الصين في تلك الفترة تراجع ثقة العرب بالولايات المتحدة الأمريكية لتطرح نفسها وسيطة بينهم وبين إسرائيل، مستندة في ذلك إلى علاقات جيدة تربطها مع طرفي الصراع.

في فترة حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية)، توافقت سياسة البلدين من خلال دعمهما المشترك لإيران، حيث زودت الصين عام 1987م الأولى بصواريخ مضادة للسفن وحصلت على أنظمة صواريخ سي 802 ذات دقة نسبية في إصابة الأهداف، كما قدمت الصين مساعدات في

¹ رباب يحيى عبد المحسن، "الصين الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية"، بكين: المركز العربي للمعلومات، 2010-5-25.

<http://www.arabsino.com/articles/10-05-24/2482.htm> تم الاسترجاع: 2014-10-15.

² دك، "الحزب الشيوعي الصيني"، بكين: المركز العربي للمعلومات، ع. 2487، 2010.

<http://www.arabsino.com/articles/10-06-07/3765.htm> تم الاسترجاع: 2014-10-15.

مجال التصنيع والتطوير والتكنولوجيا.¹ أما سوريا التي -بدأت علاقتها مع إيران عام 1979 م- فقد اصطلفت إلى جانب النظام الإيراني خلال فترة الحرب الممتدة من عام 1980-1988م.

إنَّ الجانبين الاقتصادي والعسكري هما من الجوانب المهمة في توجهات السياسة الخارجية الصينية. وقد حظيت سوريا بحصة كبيرة من هذا التوجّه بعد انتهاء الثورة الثقافية وانتقال الصين إلى مرحلة الانفتاح الاقتصادي. فبعد رحيل "ماو تسي تونغ Moa Zedong" أصبح هنالك صراع على السلطة في بكين، فعملت القيادة الصينية على التخلص من شعارات الثورة الثقافية التي ألحقت الضرر البالغ بمصالح الصين.

فالصين في فترة الثورة الثقافية كانت ذات توجه أيديولوجي داعم لحقوق العرب والحركات الثورية في عدد من الأقطار العربية كسوريا ومصر. لكنها عدّلت من توجّهات سياستها الخارجية فاتجهت إلى دعم عمليات السلام العربية الإسرائيلية،² مع البقاء على نفس الأسلوب الداعم لحقوق العرب في الحصول على الاستقلال واستعادة الأرض المسلوقة. يمكن أن نذكر في هذا المجال المساعدة العسكرية الصينية التي قدمتها لسوريا عام 1985م، حيث قام الطرفان بعقد صفقات عديدة لشراء أسلحة وقطع غيار كان أهمها صفقة، الصواريخ (أم-9) التي يصل مدّاها إلى نحو 375 كيلومتراً. كما تشير بعض المصادر إلى أنّ الصين قامت بتوريد مفاعلات نووية لسوريا لاستخدامها في الأغراض السلمية كتوليد الطاقة الكهربائية. وتشير المصادر نفسها إلى أنّ الصين قامت بتدريب بعض الخبراء السوريين على كيفية استخدام هذه المفاعلات، إضافةً إلى قيامها بمساعدة الحكومة السورية على بناء مصانع إنتاج صواريخ في مدينتي حلب وحماة.³

¹ فهد خزار، الأبعاد الاستراتيجية للعلاقات الإيرانية الصينية، طهران: مجلة دراسات إيرانية، ع.15، 2012 ص. 5- 20.
² صلاح سالم زرنوقة، "التحويلات الداخلية والسياسة الخارجية"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- ابريل-1998.
³ مستقبل العلاقات العربية الصينية، مرجع سابق، ص.173-174.

في أواسط التسعينات قامت الصين بتزويد سوريا بمائة وخمسين صاروخ أرض- أرض مضادة للدبابات. وقد ساعد على تطور العلاقات العسكرية بين البلدين، الحظر الأمريكي لشراء الأسلحة على الدول العربية وخاصة سوريا؛ ما جعلها تتجه إلى الصين للحصول على مصادر الأسلحة لأهميتها في الصراع العربي الإسرائيلي¹. أما الاتفاقيات التجارية التي تعدّ دائماً الخطوة الصينية الأولى في سياستها الخارجية لإقامة العلاقات مع البلدان الأخرى -خصوصاً العربية- فقد بلغت حوالي 16 اتفاقية ومعاهدة صينية سورية.²

ومن الاتفاقيات التي وُقعت بين البلدين في الفترة الواقعة ما بين خمسينات وسبعينات القرن الماضي، اتفاقية دفع التجارة بين البلدين عام 1955م، أي قبل قيام العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين. هناك سلسلة أخرى من الاتفاقيات التجارية حيث ترتبط سوريا والصين بمجموعة اتفاقيات كان أهمها عام 1963م، عندما تمّ التوقيع على اتفاقية لزيادة التعاون التجاري وأخرى لتسديد المدفوعات. في عام 1982م، شهدت العلاقات التجارية تطوراً جديداً تمثل في التوقيع على اتفاق تجاري طويل الأجل حلّ محل اتفاقية عام 1963م. كما وقّعت الحكومتان في بكين عام 1996م، اتفاقية تدور حول تشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة. في أيار من عام 1996م وقّع الطرفان على اتفاق إطار تضمّن تقديم بنك الاستيراد الصيني إلى المصرف التجاري السوري قرضاً قدره 100 مليون يوان لمدة عشر سنوات، استخدم لتمويل مشاريع بترولية ومعامل انتاج الغزل في مدينة حماة السورية.³ وفي نهاية العام نفسه وحتى عام 1999م قدمت الحكومة الصينية عدة منح لسوريا بقيمة 20 مليون يوان؛ كانت على شكل هبات لا ترد.

¹ محمد نبيل، الصناعات العسكرية الصينية ومبيعاتها لدول الشرق الأوسط، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1-ابريل 2000.

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=219828&eid=3987>

² دك، اليوبيل الذهبي للعلاقات السورية الصينية، بكين: موقع الصين اليوم، 17-11-2014.

<http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/2006n/0608/p17.htm>

³ دراسة صادرة عن غرفة تجارة دمشق، العلاقات الاقتصادية بين جمهورية الصين وسوريا، 2008.

من الاتفاقيات المهمة التي وقعتها الصين وسوريا في بداية الألفية الثانية، اتفاقية قيمتها 54 مليون دولار أمريكي، تقوم الصين بمقتضاها ببناء أربع سفن وفقاً للمعايير العالمية المعتمدة، وتسلمها إلى سوريا في غضون فترة لا تزيد عن 24 شهراً. شهد التبادل التجاري بين البلدين تطوراً ملحوظاً. فقد ارتفع حجم التبادل التجاري من 70 مليون دولار أمريكي في عام 1989م ليصل إلى 150 مليون دولار أمريكي في عام 2000، ليقفز إلى 900 مليون دولار أمريكي في عام 2005.¹

بعد نهاية الحرب الباردة حصلت تغييرات عميقة في منطقة الشرق الأوسط، كان أبرزها اختفاء التصادم ما بين الدول العربية وإسرائيل المدعومة أمريكياً. كما أنّ نهاية الحرب الباردة أفرزت لاعبين جدد في منطقة الشرق الأوسط، ظهوروا كقوة اقتصادية عملاقة في المنطقة، من أهمها الصين حيث شهدت العلاقات العربية الصينية نقلة نوعية مع بدء عصر التحولات الجذرية عام 1991م. صحيح أنّ الصين قد اعترفت بالنظام أحادي القطبية وتكيفت معه ولو ضمناً، لكن في المقابل كانت الأولى قد اعترفت بمركز الأخيرة كقوة عالمية وإقليمية لها مصالح- خصوصاً اقتصادية- في الشرق الأوسط. فحلت القضايا الاقتصادية والثقافية في مقدمة سياسة الصين الخارجية تجاه العالم العربي وسوريا، وبالذات عندما صعد النموذج الصيني للتنمية القائم على السوق الاشتراكي، وظهور نظرية تصارع الحضارات التي تفيد بأنّ الصراع القادم سيكون بين الحضارتين الصينية والإسلامية من جهة والحضارة الغربية من جهة أخرى.

لعلّ أهمّ المواقف التي حكمت سياسة الصين الخارجية تجاه العرب محاولتها لخلق نوع من التوازن في علاقتها مع الولايات المتحدة، مع مراعاة الحفاظ على مصالحها مع العرب وبالأخص المصالح النفطية.

¹ دراسة صادرة عن غرفة تجارة دمشق، مرجع سابق.

في فترة الحرب العراقية الكويتية، حاولت الصين موازنة علاقتها مع البلدان العربية وعارضت الهجوم العراقي على الكويت. ورفضت محاولة الولايات المتحدة حلّ الأزمة العراقية الكويتية بالقوة، وأكدت على ضرورة حلّ الأزمة وفقاً للقرارات العربية العربية.¹ وهو الموقف الذي توافق مع السياسة الخارجية السورية في تلك الفترة، حيث أرسل الرئيس الراحل "حافظ الأسد" إلى الرئيس العراقي "صدام حسين" رسالة يطالبه بالخروج من الكويت، وأنّ الأزمة يجب أن تُحلّ ضمن الإطار العربي. وقد قررت سوريا إرسال قواتها لتحرير الكويت ضمن إطار التحالف الدولي وذلك تنفيذاً وانسجاماً مع القرار العربي الذي اتخذته في مؤتمر القمة العربية الطارئة.²

مع بدء مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط، أيّدت الصين حلّ النزاعات عن طريق الأدوات السلمية، لكنها في الوقت نفسه كانت تقف إلى جانب الحقوق العربية المشروعة المتمثلة في استرداد الجولان وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة دون أن تتدخل بجدية في تفاصيل تحقيق ذلك.³ في التسعينات توجّهت الصين في سياستها الخارجية إلى إسرائيل على حساب العرب لإقامة علاقات ايجابية مع الولايات المتحدة الأمريكية، في سعيها للاستفادة من الفرص التكنولوجية المتاحة لدى إسرائيل. أما إسرائيل فقد سعت من وراء إقامة العلاقات مع الصين إلى الحدّ من بيع الأسلحة الصينية لكل من إيران وسوريا، وهو ما قوبل بتعهد صيني بالحدّ من بيع تلك الأسلحة إلى الحكومة السورية.⁴ ما ساعد على إقامة علاقات بين الصين وإسرائيل.

أدى التقارب الصيني الإسرائيلي إلى شعور سوريا بأنّ نضالهم الطويل ضدّ إسرائيل أصبح في مؤخرة سلّم أولويات سياسة الصين الخارجية، ما أدى إلى سوء العلاقات بين الطرفين. فالصين -من وجهة

¹ أحمد العدوانى، الغزو العراقي للكويت، (الكويت: عالم المعرفة، ع، 195، 1996). ص 22-25
² منعم العمار، الصين وتطور موقفها من تجارة الأسلحة في الشرق الأوسط، (الأردن: معهد دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ع.106، ص.32-33
³ أبو بكر الدسوقي، "الصين والقضية الفلسطينية: الدور والفرص والقيود"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، اكتوبر، 1998
⁴ مستقبل العلاقات العربية الصينية، مرجع سبق ذكره ص.222-224
<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=219294&eid=8811>

نظرها- ترى بأنه يجب أن تجد موازنة دقيقة بين أطراف الصراع العربي الإسرائيلي، وذلك لأنها لا تريد أن تخسر أي طرف من هذه الأطراف التي تعتبره ضرورياً لمصالحها الخاصة. وبالتالي فقد أوضحت الصين موقفها الأساسي من حلّ مشاكل الشرق الأوسط وفقاً لتغيرات أوضاع المنطقة، لكنها أخذت موقف التجاوز عن التفاصيل. فادعى العديد من علماء السياسة الغربيين أنّ سياسة الصين الخارجية تجاه العالم العربي بُنيت على أسس أيولوجية، لكنها في الواقع كانت ملازمة للتحوّلات الاقتصادية الهامة في مرحلة الصعود الصيني كقوة اقتصادية كبرى في العالم.¹

كانت الدفعة الاقتصادية بداية تطور العلاقات مع الدول العربية بما فيها سوري. فالدول العربية ترغب في الإسراع من التنمية. فبعد الحرب الباردة كان الاقتصاد والإصلاح الاقتصادي على سَلَم أولويات الحكومات العربية خصوصاً سوريا، ما لاقى تقارباً في الاستراتيجيات مع الصين وزاد من العلاقات الثنائية بين الدولتين في ظلّ استهداف سوريا من قبل القطب الأوحّد في العالم كونها طريق يربط محطّات نقل النفط بعضها ببعض؛ ما رأت فيه الصين ضرورة للتوجه نحو سوريا ساعيةً لتطبيق استراتيجية البحار الأربعة التي سوف يتم التطرق إليها في مباحث لاحقة.

إنّ سوريا لا تتفصل عن النطاق العربي. فهي دولة ذات تاريخ عريق. ولعلّ كلمة المؤرّخ الفرنسي الشهير "أندريه بارو" مدير متحف اللوفر السابق: "إن كل إنسان في العالم له وطنان، وطنه الأصلي وسوريا"،² تمثل الجانب العريق من هذه الحضارة. ونظراً للأهمية التي اكتسبتها العلاقات الصينية العربية لا بد من التطرق إلى علاقات الصين مع الجامعة العربية والتي تشكل سوريا جزءاً لا يتجزأ منها.

¹ كامل أبو جابر، "موقف الصين من بعض القضايا العربية"، دمشق: المجلة العربية للثقافة، 1999، ص. 24
² مفيد عرنوق، صرح و مهد الحضارة السورية، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1999)، ط1، ص. 40.

لقد تجلّت العلاقات بين الجامعة العربية والصين من خلال العديد من الزيارات التي أدت إلى تشكيل علاقات مهمة بين الجانبين، التي ركزت جميعها على الحقوق العربية المشروعة في استعادة الأراضي المحتلة. والصين -كدولة تركز على العلاقات الثنائية مع الدول العربية كونها مهمة في توريد النفط- أخذت العديد من الخطوات التي ساهمت في بناء علاقات مهمة مع الجامعة العربية، حيث دعا رئيس الوزراء الصيني في عام 1993م الأمين العام للجامعة العربية لزيارة بكين، وتمّ افتتاح مقرّ للجامعة في العاصمة الصينية.¹

تأكيداً على حرص الصين على الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني دعت عام 1995م مساعد الأمين العام للشؤون الفلسطينية، حيث أكدت على أهمية إقامة الدولة الفلسطينية وفقاً لقرارات الأمم المتحدة.

استمرت الزيارات الصينية الرسمية التي تؤكد على العلاقات المتبادلة الداعمة للشؤون العربية. ففي عام 1996م زار رئيس الصين "جيانغ زيمين **Jiang Zemin**"* مقرّ الأمانة العامة للجامعة العربية، وأكد أنّ الصداقة بين الصين والبلاد العربية أبدية. في عام 1997م قام أمين عام الجامعة العربية بمشاركة بكين في الاحتفال الخاص باستعادة سيطرتها على هونج كونج، ما أدى إلى نمو العلاقات بين الطرفين. وإبان زيارة رئيس مجلس الدولة الصينية لمصر ولقائه مع الدكتور "عصمت عبد المجيد"***؛ الأمين العام للجامعة في ذلك الوقت، وقّع الجانبان على مبادرة لإقامة علاقات عربية صينية حكمت سير العلاقات في القرن الحادي والعشرين.

¹ موقع جامعة الدول العربية على موقع الإنترنت: <http://www.arableagueonline.org/category/arab-league/>
*جيانغ زيمين هو سياسي صيني شغل منصب رئيس الجمهورية بين أعوام 1993-2003، ويرجع له الفضل في تحويل منصب رئيس الدولة من دور شرفي إلى فعال على الساحة الدولية، وهو أول رئيس صيني يقدم استقالته.
** شغل عصمت عبد المجيد وهو دبلوماسي وطبيب مصري منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ 1991-2001 م

وقد ارتكزت هذه المبادرة على أربع نقاط رئيسية وهي¹:

1- الاحترام المتبادل والتعامل على قدر المساواة.

2- تعزيز الحوار الثقافي.

3- تبادل التأييد في الشؤون الدولية.

4- إجراء تعاون ذي منفعة متبادلة من أجل دفع النمو المشترك لإقامة علاقات استقرار طويلة الأمد

بين الدول العربية والصين.

على مستوى الزيارات الرسمية حظيت سوريا بعدد من هذه الزيارات التي أكدت على الدعم الصيني المستمر للقضايا التي تخصّ سوريا والمتعلقة بصراعها مع إسرائيل ومعارضتها للولايات المتحدة الأمريكية. فمسيرة العلاقات بين البلدين خلال أكثر من نصف قرن تشير إلى أنها كانت علاقات قوية وممتينة قائمة على الاحترام المتبادل والتعاون المشترك وحق الشعوب في ممارسة سيادتها بما يضمن أمنها واستقرارها ويحقق نهوضها الاقتصادي.

فالصين وكذلك سوريا كانتا ولا تزالان تدعمان إحلال السلام في الشرق الأوسط وفقاً لمبادئ الشرعية الدولية ومبدأ الأرض مقابل السلام.² كما أنّ دمشق وبكين تسعيان من خلال سياستهما الخارجية للعمل بكل جهد ضد الإرهاب العالمي الذي ضرب كل بقاع الأرض. ويميز الطرفان بين الإرهاب المدان وبين النضال المشروع للشعوب من أجل الحرية والاستقلال. وتؤكد الخطوات المتبعة في سياستهم الخارجية على وجهة النظر المتقاربة في اعتبار الإرهاب غير مرتبط بدين أو بقومية أو بشعب معين.

¹ العلاقات بين الصين وجامعة الدول العربية، الصين: موقع أخبار الصين، 10-5-2010

² لي جيان، تاريخ العلاقات العربية الصينية- حاضرها ومستقبلها، بكين: المركز العربي للدراسات للمعلومات، 28-12-2008.

<http://www.arabsino.com/articles/10-05-25/2496.htm>

في إطار ذلك جاءت الزيارات المتبادلة التي تؤكد على كل ما سبق ذكره. ومن أهم الشخصيات الرسمية التي زارت سوريا في فترة التسعينات رئيس مجلس الدولة (وو بانغ قوه) عام 1996م، ونائب رئيس مجلس الدولة، ووزير الخارجية الصيني (تشيان تشي شن) عام 1997م، ورئيس اللجنة الوطنية للمجلس الوطني لنواب الشعب عام 1999م، ووزير الدفاع الصيني تشي هاوتيان عام 1999¹. أما من الجانب السوري فقد زار الصين في السنوات الأخيرة عدد من القيادات السورية منها الأمين العام المساعد لحزب البعث عبد الله الأحمر عام 1998م، ونائب رئيس الجبهة الوطنية التقدمية السورية محمد زهير مشاركة عام 1998م، ونائب رئيس الوزراء محمد ناجي العطري عام 2000 م.

جاءت هذه الزيارات في إطار التعاون الحزبي بين الطرفين حيث أقام الطرفان علاقات حزبية ودية منذ عام 1986م.² في عام 1991م تأسست في دمشق جمعية الصداقة السورية الصينية، كما تأسست في عام 1999م جمعية الصداقة بين البرلمان السوري والمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني. في عام 1983م وقع أول اتفاق بين اتحاد الكتاب السوريين والصينيين أثمر عنه ترجمة 105 من الروايات العربية إلى اللغة الصينية.³ في عام 1965م وقع البلدان أول اتفاق للتعاون الثقافي أسس لإقامة العديد من النشاطات الثقافية في البلدين للتعريف بالحضارة السورية في الصين. هذا فضلاً عن أنّ الصين تبثّ العديد من نشرات الأخبار باللغة العربية التي تعدّ مهمة لتعريف العرب عن هذه الحضارة العريقة.

في عام 2005م، أثمرت جهود البلدين عن توقيع اتفاق يتضمن التعاون في مجالات التعليم والثقافة والموسيقى والمسرح، فضلاً عن الاتفاقيات التي تجمع بين المعاهد العليا والجامعات الصينية والسورية.

¹ العلاقات السورية الصين، مرجع سابق، ص. 130

² المصدر نفسه، ص. 129.

³ البيوبيل الذهبي للعلاقات الصينية السورية، مرجع سابق.

ولحرص الصين على توسيع العلاقات الثقافية أنشأت في دمشق معهد كونفوشيوس المتخصص في تدريس اللغة الصينية، الذي له الدور الكبير في إقامة الاحتفالات والمهرجانات المشتركة.¹ والصين تقدم العديد من المنح للطلبة السوريين في مجالات السياسة والاقتصاد وغيرها. أما في مجال التعاون بين المدن السورية الصينية فقد استقبلت مدينة تشونغ تشيانغ * محافظ مدينة دمشق في عام 2005م.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا (2001- 2010 م)

شكّلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تغييراً كبيراً في عدد من سياسات الدول الخارجية، فالولايات المتحدة أعادت تعريفها للأمن القومي والإرهاب، وفي هذا الإطار بدأت الأخيرة بالتحرك العسكري في المناطق التي عدتها مقراً للإرهاب كالعراق وأفغانستان في محاولة منها لتصفية النظم المعارضة لها في العالم.² أحست الصين بهذا التغيير من خلال إشارات أمريكية واضحة على نيتها لاحتوائها كحادثة طائرة التجسس التي أنزلتها الصين في إبريل 2001م، إلى جانب تمركز قواعد أمريكية عسكرية في مناطق آسيوية قريبة من الحدود الصينية، خصوصاً وأنها انضمت إلى منظمة التجارة العالمية في العام نفسه، ما شكل القفزة الاقتصادية الثانية التي دفعت بالصين إلى تطوير علاقاتها بالدول الأخرى لحاجتها لزيادة احتياطها من النفط الضروري لمواصلة النهوض الاقتصادي.³

¹ موقع السفارة السورية في الصين

http://www.syembassy.cn/ar/ansh6a_50zhounian.html

* من المدن الصينية الكبرى، ومن أكبر المراكز الصناعية والتجارية في منطقة جنوب الصين الغربي.
² ادريس لكريني، تحولات الصين ومستقبل النظام الدولي، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: آفاق المستقبل، مارس، 2013 ع. 17، ص. 16-17

http://www.ecssr.com/ECSSR/ECSSR_DOCDATA_PRO_EN/Resources/PDF/AafaqAlMustaqbal/Aafaq-2013/Aafaq-issue-17/16-17-issue-17.pdf

³ حنان عياد، العلاقات الصينية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة: المتغير في الموقف الأمريكي من انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية، (فلسطين: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، 2007).

نظرت الصين إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أنها ثمرة من ثمرات النظام أحادي القطبية، ورفضت توجيه الاتهامات الأمريكية للعرب والمسلمين على أنهم أطراف في تلك الأحداث،¹ بدون تقديم أي دليل مادي على ذلك، مع أنّ الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي كانتا قد أصدرتا قراراً حول مقاومة الإرهاب. وبالمثل فإنّ الصين التي كانت أحد مؤسسي منظمة شنغهاي للتعاون المعنية بموضوع الإرهاب، كانت قد أصدرت قراراً شبيه بقرار الجامعة العربية والمنظمة الإسلامية.²

إنّ الصين ساندت الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب، إلا أنها رفضت أي تدخل عسكري في المناطق التي وصفها الولايات المتحدة بالداعمة للإرهاب، وزعمت أنّ الولايات المتحدة تحاول تعديل مفهوم الأمن القومي بما يتناسب مع المصالح الأمريكية في تكريس الهيمنة في مناطق العالم والشرق الأوسط.³ بلّ أكدت على وجود فرق ما بين المقاومة المشروعة والإرهاب، ورفضت أن يرتبط الإرهاب بأية دولة أو دين. كما عارضت إقامة نظام الدفاع الصاروخي في مناطق مختلفة من العالم، بحجة أنّ العالم بحاجة إلى السلام والتنمية والتقدم لا للحرب والتسلح. علاوة على وجوب تفعيل دور الأمم المتحدة بصورة كافية في مكافحة الإرهاب، ما يعني قيام نظام عالمي متعدد الأقطاب يسوده الأمان والسلم والمنفعة المتبادلة، لا سيطرة قطب واحد على كل العالم لتحقيق مصالحه الشخصية.⁴ من هذا المنطلق أرسلت الصين مبعوثاً خاصاً للشرق الأوسط وهو الدبلوماسي (وانغ شي جيه Wang Shi Jie) عام 2002م، وذلك لتؤكد بأنّ سياستها الخارجية في الشرق الأوسط قد شهدت تحولات جذرية. في عام 2004م قام مستشار الدولة الصيني "تانغ جيا شيوان Tang"

¹ محمد ضياء الدين محمد، اتجاهات العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر، السعودية: شبكة ألوكة، 2001.

<http://www.alukah.net>

² موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية.

<http://www.fmprc.gov.cn/ara/zxxx/t710921.htm>

³ سعاد العنزي، التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط 2001-

2006، (الأردن: رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2005). ص. 157

⁴ التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط (2001-2006)، المصدر نفسه، ص. 101-115

Jiaxuan بزيارة أراضي السلطة الفلسطينية وإسرائيل وطرح على المسؤولين الإسرائيليين والفلسطينيين رؤية الصين للوضع في الشرق الأوسط، وقدم حلولاً تتمثل في إعادة المفاوضات السلمية بين الطرفين وإقامة الدولة الفلسطينية وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام والسعي الإيجابي وراء تحقيق السلام والعدل الشامل في الشرق الأوسط ووجوب زيادة دعم المجتمع الدولي لعملية السلام. لكن هذا الاقتراح لاقى رفضاً من قبل إسرائيل.¹ بالمثل تلاقحت وجهات النظر الصينية مع سوريا التي دعت دائماً إلى السلم والتآخي ورفض الهيمنة الأمريكية واتهامها بالدولة الداعمة للإرهاب في ظلّ علاقاتها مع تنظيم حزب الله في لبنان، لذلك اتجهت سوريا إلى إقامة علاقات وطيدة مع الصين لتفعيل دورها الإقليمي بعد أن كانت الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة قد فرضت حظر على بيع الأسلحة لسوريا بعد تلك الأحداث.

من هنا تأتي زيارة الرئيس "بشار الأسد" الهامة لدولة الصين عام 2004م لتحقيق قفزة مهمة في العلاقات، حيث اكتسبت هذه الزيارة أهمية بالغة لعدة أسباب: أولاً أنّها الزيارة الأولى من نوعها لرئيس سوري إلى بلاد الصين. ثانياً كانت زيارة رئيس دولة لدولة أخرى ما يجعلها زيارة على أعلى المستويات، كما أنّ هذه الزيارة توجت مسيرة العلاقات الثنائية التي اتسمت بالاحترام المتبادل والتعاون المشترك لما فيه خير ومصالحة الشعبين. عُدّت هذه الزيارة خطوة مباركة على طريق تعزيز الدور الحضاري من خلال تبني منهج الحوار والتشاور والتنسيق بما يساعد على ترسيخ الأمن والسلام الدوليين، وأنتت هذه الزيارة في فترة الحرب الأمريكية على العراق لتعبّر عن رفض الطرفين لهذه الحرب وللهيمنة الأمريكية على العالم وللممارسات الإرهابية بحق الشعب الفلسطيني.²

¹ دياب اللوح ، موجز عن تاريخ العلاقات الفلسطينية-الصينية، فلسطين: جمعية منتدى التواصل، 2012

<http://www.twasol.ps> تم الاسترجاع: 2014-11-15

² موقع حزب البعث العربي الاشتراكي <http://www.baath-party.org>

أسست هذه الزيارة لمرحلة جديدة متطورة في مسار العلاقات السورية الصينية أدت إلى قفزة نوعية نحو الأمام في شتى المجالات. فاكتملت الزيارة أهمية على الجوانب الاقتصادية، والتجارية، والسياسية، وأفسحت المجال أمام الجانبين لاستعراض الوضع الدولي المتوتر خاصة في منطقة الشرق الأوسط. وساعدت على تبادل الآراء والاطلاع عن كثب على موقف الصين من الأحداث الدائرة في المنطقة في محاولة للتخفيف من حدة التوتر في العالم.¹

نظر الأسد من خلال هذه الزيارة للدخول في تحالفات استراتيجية مع القوى العالمية الصاعدة في مقدمتها الصين، لعله يكون إسهاماً في الوصول إلى عالم متعدد الأقطاب الذي تدعو إليه كلتا البلدين والذي يصبّ في مصلحة سوريا، في ظلّ القطب الأمريكي السّاعي للهيمنة على العالم وإخضاعه لسيطرته الكاملة. بنت هذه الزيارة تضامن عربي صيني من خلال سوريا. ومن أبرز ما تمّ استخلاصه على الصعيد السياسي من هذه الزيارة: رفض سوريا والصين الهيمنة الأمريكية على العالم، ومطالبتهم بتعزيز دور الأمم المتحدة في منطقة الشرق الأوسط والعالم، وتأييدهما لنشوء نظام دولي متعدد الأقطاب، يضع حداً لحالة الفوضى العارمة التي تضرب العالم.² كما تناولت هذه الزيارة الموقف من الحرب على العراق، والدعوة إلى الحلّ السلمي، وانسحاب القوات الأمريكية، واستعادة الشعب العراقي السيادة الكاملة على أراضيه. ودعا البلدان إلى حلّ الصراع العربي الإسرائيلي سلمياً وفقاً لقرارات الأمم المتحدة.

أما الجانب الاقتصادي من هذه الزيارة فقد أثمرت زيارة الرئيس بشار الأسد عن توقيع عدد من الاتفاقيات والمعاهدات. فالصين بدأت بسياسة الانفتاح الاقتصادي منذ سبعينات القرن الماضي، أما سوريا فأخذت بهذه السياسة منذ تولّى الرئيس "بشار الأسد" الحكم في عام 2000م، فتمّ إقرار عدد من

¹ حدث كبير في مسيرة العلاقات ويكين ترفض العقوبات العشوائية وتؤيد تفعيل دور الأمم المتحدة، صحيفة تشرين، ع 11، 20-9-2014
<http://tishreen.news.sy/tishreen/public/print/4494>
² زيارة الرئيس بشار الأسد لسوريا، دمشق: صحيفة تشرين عدد 8970، 20-9-2014.

القوانين والتشريعات التي ساهمت في دفع عجلة الاقتصاد بين الجانبين. خلال زيارة الأسد وقعت سوريا والصين اتفاقيات للتعاون الزراعي، واتفاقية في مجال منح القروض الميسرة، وفي مجال الصحة والعلوم الطبية والسياحة، وبرتوكول التعاون في مجال النفط والغاز. كما رافق الرئيس السوري في هذه الزيارة عدد من رجال الأعمال الذين التقوا مع نظرائهم الصينيين، ووقعوا اتفاقية لإنشاء مجلس رجال أعمال مشترك.¹ في متابعة لنتائج هذه الزيارة على الصعيد الاقتصادي، يتضح أنّ الطرفين اتفقا على مناقشة مسودة اتفاقية الازدواج الضريبي على أن يتم متابعة ودراسة مواد مشروع الاتفاقية.²

فيما يخصّ اتفاقيات النفط، فتحت سوريا المجال أمام الشركات الصينية للاستثمار، حيث أبرمت وزارة النفط مع شركة "سي أن بي سي" الصينية اتفاقاً يقضي بتطوير حقلٍ كبيبه وتشرين ومواقع نفطية أخرى،³ حيث بدأت الشركات الصينية تستثمر في قطاع النفط والإسمنت. وتمّ إنشاء مدينة صناعية في منطقة عدرا ضمت أكثر من 170 شركة عاملة في مجال التقيب عن النفط، والاستيراد والتصدير من سوريا إلى باقي الدول العربية والعالمية.⁴ وقد اختارت الصين المدن السورية لما تتمتع به من موقع جغرافي مميز وتوفر الأيدي العاملة الماهرة في سوريا. مما سبق يتضح أنّ الرئيس "بشار الأسد" كان يهدف إلى تحويل سوريا إلى بلد فاعل اقتصادياً، وللاعب إقليمي قوي، بلّ وأنّ سياسته الخارجية قد التقت مع المساعي الصينية الهادفة إلى زيادة نشاطها الاقتصادي في العالم وفي منطقة الشرق الأوسط.

في عام 2002م، عرض الرئيس "بشار الأسد" استراتيجية جديدة لجعل سوريا أكثر فاعلية على المستوى الدولي والإقليمي تتمثل في ربط البحار الخمسة (البحر المتوسط، وبحر قزوين، والبحر

¹ موقع مجلس رجال الأعمال الصيني السوري <http://www.scbc.sy>.
² موقع مجلس رجال الأعمال الصيني السوري، المصدر نفسه.
³ العلاقات السورية الصينية الواقع والآفاق والمستقبل، مرجع سابق، ص. 147-149.
⁴ المصدر نفسه، ص. 143.

الأحمر، والبحر الأسود، والخليج العربي) بعضها ببعض من خلال سوريا.¹ جاء طرح هذا المشروع ضمن مشوار زار من خلاله بعض الدول، أولها إيطاليا مروراً بإيران، وأذربيجان، وأرمينيا، وجورجيا، وقبرص، وأوكرانيا، وبلغاريا، ورومانيا. ففي لقائه مع عدد من رجال الأعمال الإيطاليين في عام 2002م، أعلن الأسد العمل على تطوير المرفأء البحرية وسكك الحديد لتحويل سوريا إلى عقدة مهمة لنقل الغاز ومنطقة تجارة حرّة تربط بين الشرق والغرب.

في زيارة إلى تركيا بداية عام 2004 م،² أعرب الأسد عن أمله في أن تصبح سوريا جسراً للربط بين تركيا والعالم العربي، وبعدها أخذت الفكرة تأخذ مجالاً واسعاً من التداول والنقاش مع عدد من رؤساء الدول الآسيوية والأوروبية كالنمسا، وسلوفاكيا، وأذربيجان، وأرمينيا، وإيران، واليونان، وقبرص والصين. عليه شكّل الموقع الاستراتيجي لسوريا الذي يربط بين القارات الثلاث القديمة نقطة الانطلاق لهذا المشروع في محاولة لبناء شبكة من الخطوط، ضمن إطار جيوسياسي يربط بين مجموعة من المحاور والخطوط، منها:³

1- خطّ دمشق- طهران الذي يعدّ من أهم الخطوط لكوته يطلّ على ثلاث بحار (المتوسط وقزوين والخليج العربي)، ويتميز هذا الخطّ بوجود علاقات قوية تجمع بين البلدين المراد مدّ الخطّ بينهما.

2- خطّ دمشق- أنقرة الذي يعدّ من الخطوط المهمة التي ستربط تركيا بالعالم العربي.

3- خطّ دمشق باكو (أذربيجان) وهي من البلدان ذات الاحتياطي النفطي الهائل.

4- خطّ دمشق أرمينيا الذي يمكن التعبير عنه بعدة محاور مهمة:

¹ بشار نرش، الرؤية الاستراتيجية لربط البحار الخمسة- الواقع واحتمالات المستقبل، سوريا: مجلة المناضل، ع.349، 2011، ص31-35. <http://www.baath-party.org/download/monadel394.pdf> .

² الدبلوماسية السورية ورؤية الربط بين البحار الخمسة، الاعتماد على محاور الرياض وأنقرة وطهران والدوحة وبغداد وبيروت وباريس، دمشق: جريدة الراي، 29- ديسمبر-2010. <http://www.alraimedia.com/Articles.aspx?id=234331> . تم الاسترجاع: 22-10-2014

³ عماد شعبي، الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً، فرنسا: شبكة فولتر الإخبارية، فرنسا، 2012. <http://www.voltairenet.org/article173717.html> . تم الاسترجاع: 15-11-2014.

أ- البحر الأسود-سوريا-الخليج العربي.

ب-البحر الأحمر - سوريا - بحر قزوين.

ت-بحر قزوين-سوريا- البحر الأبيض المتوسط.

إنَّ استراتيجية البحار الخمسة تُظهر ثَقلاً نوعياً لسوريا على خريطة العالم، يجعلها تحقق أهداف كثيرة في التنمية والسلام العالمي القائم على تبادل المصالح، لكنها في الوقت نفسه تحتاج إلى الكثير من الجهد على مستوى العلاقات الثنائية مروراً بحلِّ مشاكل الحروب وحالات العدوان. وقد كان لدول كثيرة مواقف مؤيدة لهذه الفكرة كالروية الرومانية التي تصبَّ في الإطار ذاته، حيث طرح الرئيس الروماني في عام 2010م مشروع لتطوير فكرة البحار الخمسة لتشمل نهر الدانوب،¹ ما يشكل دليلاً محسوساً على تقبُّل عدد من قادة الدول الإقليمية والعالمية هذه الفكرة، خصوصاً وأنَّ رئيس الوزراء التركي كان قد دعا في وقت سابق إلى إيجاد نظام عالمي جديد مشترك قائم على التعاون الاقتصادي والسياسي بعيداً عن أشكال العنف والعدوان والهيمنة الأمريكية على العالم،² ما تلاقى مع تصريح رئيس بلغاريا الذي وصف فكرة البحار الخمسة "بالفكرة القابلة للتطبيق" خصوصاً وأنَّ سوريا كانت مرتبطة مع مشروع الغاز العربي الذي يمتد من مصر إلى سوريا عبر الأردن ومن ثم إلى لبنان والمقرر أن يصل تركيا لتزويد الخطَّ العربي بالغاز القادم من أذربيجان.³

¹ دك، نشاطات السيد الرئيس لعام 2010، سوريا: موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، <http://www.baath-2014-10-27>.
² عصام ملكاوي، تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة، السودان: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2013، ص. 15.

<http://repository.nauss.edu>

³ احمد الزعبي، سوريا في الاستراتيجية الصينية، الأردن: العرب اليوم، 2014-9-21.
<http://alarabalyawm.net/?p=394930> تم الاسترجاع: 2014-11-15.

أما في البعد الإقليمي، فجرى البحث مع طهران لإقامة خطّ لنقل الغاز الإيراني إلى سوريا عبر العراق ثم إلى البحر المتوسط، ما يحقق الفوائد المرجوة لكل من سوريا والعراق وإيران ولبنان مع تصدير الفائض منه إلى قبرص، وتصدير الغاز عبر الطرق البحرية إلى دول الاتحاد الأوروبي.¹

في محاولة سوريا لتحقيق استراتيجية البحار الخمسة، سعت إلى تقديم المساعدة لحلّ أزمة إقليم ناغورنو وكارباخ** بين أذربيجان وأرمينيا، وبين تركيا وأرمينيا بشأن عقدة مذبحة الأرمن،*** التي تآزم العلاقات بين البلدين من أجل تجهيز بنية سياسية تسمح بإنجاح مشروع الربط الاقتصادي بين دول حوض بحر قزوين وأوروبا، ومثيلتها في الخليج العربي والشرق الأوسط.² لكنّ الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية كان لها مخطط مغاير لتطلعات "بشار الأسد" ضمن إطار الشرق الأوسط الجديد الذي تحاول رسم معالمه.³ وهو ما تحاول الصين منعه لأنّه سيؤدي في النهاية إلى تفويض حصتها من النفط، بلّ على العكس فإنّ نظرية "بشار الأسد" لربط البحار الخمسة بعضها ببعض لاقت ترحيباً صينياً لأنّ الصين تسعى إلى إعادة إحياء طريق الحرير الجديدة، ما شكل تلاقي لسياسة البلدين الخارجية،⁴ خصوصاً بعد أن طرح الرئيس الصيني "شي جين بينغ" **Jinping Xi** فكرة بناء حزام طريق الحرير الاقتصادي أثناء الجولة التي قام بها في أوائل شهر سبتمبر عام 2013م في دول آسيا الوسطى، وقد لقيت هذه الفكرة اهتماماً واسعاً محلياً ودولياً.

¹ سوريا في الاستراتيجية الصينية، المصدر نفسه.

* كانت سوريا بين عامي 1934-1982 م بلد العبور للنفط العراقي وكذلك السعودي في الأعوام ما بين 1973-1982 م، حيث كان أكثر من 70% من النفط العراقي و30% من النفط السعودي يمر عبر سوريا ليتم تصديره إلى دول أخرى

** أزمة إقليم ناغورت وكارباخ: أزمة تعود لأيام الحرب الباردة، حيث كان البلدان ضمن الاتحاد السوفيتي السابق، وبعد استقلال البلدين (أذربيجان وأرمينيا) أصبح هناك تنازع على ملكية هذا الإقليم.

*** في عام 1915 م قامت الدولة العثمانية بارتكاب مجزرة بحق عرقية الأرمن المسيحية وراح ضحيتها أكثر من مليون ونصف المليون شخص.

² الرؤية الاستراتيجية لربط البحار الخمسة- الواقع واحتمالات المستقبل، مرجع سابق.

³ عبد الوهاب المسيري، الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي الصهيوني، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2-11-2006.

<http://www.aljazeera.net> تم الاسترجاع: 2014-11-16.

⁴ عبد الصمد سعدون عبدالله، الصراع على موارد الطاقة: دراسة لمقومات القوة في السلوك الدولي للصين، الأردن: مجلة دراسات شرق

أوسطية، ع. 57، ص. 95-98.

<http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/15-6.pdf>

يستند حزام طريق الحرير الاقتصادي على مفهوم طريق الحرير القديم، ليشكّل منطقة التنمية الاقتصادية الجديدة في غرب الصين والتي تسعى من خلالها لبناء جسر يربط آسيا والمحيط الهادئ شرقاً مع المنطقة العربية في الوسط ومناطق أوروبية أخرى غرباً. ليكون بذلك أطول ممر اقتصادي رئيسي ذي أكبر إمكانات في العالم، ليشكّل نمطاً جديداً للانفتاح الصيني في جميع النواحي، وجزءاً هاماً في تحقيق التنمية المتوازنة والازدهار الصيني.

تعول الصين على هذا الحزام التجاري لتحقيق العديد من المصالح الاستراتيجية المهمة التي تتمثل في التالي:¹

- 1- توفير الأمن للمنطقة وإرساء الاستقرار في إقليم وسينكيانج والمناطق الصينية المضطربة التي تعاني من وجود أقليات الايغور والتبت التي تطالب بالانفصال عن الصين وتشكيل دول مستقلة.
- 2- الوصول إلى الموارد الطبيعية وخاصة النفطية التي تشكّل جزءاً مهماً في عملية التنمية خصوصاً وأنّ الصين أصبحت من أكثر الدول المستهلكة للنفط في العالم.
- 3- توطيد نفوذها السياسي لكي تصبح ذات هيمنة إقليمية من خلال إطار العمل السياسي لمنظمة شنغهاي للتعاون.

خلاصة القول: أنّ استراتيجية طريق الحرير الجديدة مرتبطة بسياسة سوريا التي تنظر شرقاً نحو منطقة بحر قزوين التي تعتبر مصدراً أساسياً لتغذية مشروعات خطوط أنابيب مختلفة مثل الغاز الأذربيجاني للمرحلة الأولى (من خط أنابيب نابوكو وصولاً إلى أوروبا)، الذي سيرتبط في النهاية بخط الغاز العربي الذي يغذيه غاز تركمانستان وكازاخستان عبر آسيا الوسطى. وفي المقابل خط الأنابيب الصيني -خطّ وسط آسيا الصين- وهو خط أنابيب غاز بطول 1.833 كم. يبدأ عند حقل غاز

¹ المقاربة السورية لمنطقة بحر قزوين، جريدة الجمل، سوريا 17-11-2014 . <http://www.aljaml.com/node/61772>

سامان - داب في تركمانستان ويمتد عبر أوزبكستان وكازاخستان، وصولاً إلى الشانكو في الصين. وخط أنابيب نفط كازاخستان الصين، وهو خط أنابيب نفط من الغرب إلى الشرق بطول 2.228 كم. يمتد من اتيراو في كازاخستان إلى الشانكو في سينكيانج بالصين.¹

المبحث الثالث: السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا 2011-2014.

إنَّ الفترة الممتدة ما بين الأعوام 2011م حتى الوقت الحالي شهدت تغييرات شرق أوسطية كبيرة، كان أهمها قيام ثورات الربيع العربي، التي جاءت كحراك شعبي في تونس من خلال قيام أحد الشباب التونسيين اسمه "محمد بوعزيزي" بحرق نفسه أمام مقرّ ولاية سيدي بوزيد احتجاجاً على مصادرة السلطات البلدية لعربة الفواكه التي كان يعمل عليها. ثم انتقلت الثورات إلى دول الجوار كمصر وليبيا وسوريا وغيرها من الدول التي شهدت تغييراً للأنظمة، وبروز أنظمة أخرى، كان في مجملها ما يُعرف بأنظمة الإسلام السياسي.

في مصر صعد الإخوان المسلمون إلى دفة الحكم بعد الإطاحة بحكم "حسني مبارك"، كما سيطر الإسلاميون على الحكم في تونس؛ البلد الأول لبداية الثورات بعد أن فرّ الرئيس "زين العابدين بن علي" من تونس. في ليبيا تدخل حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة للإطاحة "بمعمر القذافي" ونظامه بعد أن شهدت البلاد موجة من أعمال القتال بين أنصار القذافي من جهة وبين المعارضة مدعومة من قوات الناتو. أما سوريا فما زالت الثورة مستمرة فيها إلى وقت كتابة هذه السطور بلّ وتطورت إلى تدخل عدد من الدول الإقليمية والعالمية وعدد من المنظمات الإرهابية والمعتدلة في سير هذه الثورة

¹المصدر نفسه

ليصل إلى استخدام الأسلحة الكيميائية في العديد من المدن السورية كحماة ودرعا، ما أدى إلى مقتل عدد كبير من المدنيين وفرار عدد آخر إلى دول حدودية مجاورة كتركيا والأردن ولبنان.

سيحاول هذا المبحث الخوض في معطيات الثورة السورية وباديتها، وعرض أهم التنظيمات المعارضة للنظام السوري. كما سيعرض سياسة الصين تجاه الصراع الدائر في المنطقة في محاولة لتحديد أهم ملامح سياستها الخارجية في هذه الفترة.

أولاً: بداية الثورة السورية وأسبابها

بدأت ملامح الحراك الشعبي تظهر في درعا بعد قيام قوات النظام باعتقال خمسة عشر طفلاً، إثر كتابتهم لشعارات تنادي بالحرية وتطالب بإسقاط النظام على جدار منازلهم بتاريخ 26 فبراير 2011م، وعلى إثر ذلك وجّه ناشطون سوريون عبر مواقع التواصل الاجتماعي الدعوة ليوم غضب شعبي في 15 مارس. بالفعل تظاهر العشرات أمام الجامع الأموي في دمشق، غير أنّ قوات الأمن فرقتهم بالقوة واعتقلت عدداً كبيراً منهم. استمرت المظاهرات في اليوم التالي حيث خرجت مظاهرة تضمّ المئات تطالب بإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية إلى مقرّ وزارة الداخلية في ساحة المرجة، ما قوبل بالرّد العنيف من قبل النظام. في الجمعة الأولى لانطلاق هذه الأحداث، توسّعت نفاط الاحتجاجات العارمة لتشمل معظم محافظات سوريا بما فيها حمص ودرعا ودمشق وبناباس. ففي درعا أطلقت قوات الأمن الرصاص الحيّ على المتظاهرين مما أدى إلى مقتل 4 مواطنين، لتتطور الأحداث ويسقط ما يزيد على 150 قتيلاً في الأسبوع التالي.¹

في الخامس والعشرين من مارس عام 2011م تحت شعار جمعة العزّة، شاركت 7 محافظات من أصل 14 في مظاهرات حاشدة قمعتها قوات الأمن بالقوة. وقد زاد من حدة هذه المظاهرات وعود

¹ محمد الشريف، ما يحدث في سوريا: إلى الآن، سوريا: مركز دمشق للدراسات، 1-10-2011. <http://www.mokarabat.com/D.mohammad%20kamal1.pdf> تم الاسترجاع: 2-12-2014.

الإصلاح غير الموثوقة التي أعلنت عنها "بثينة شعبان" مستشارة الرئيس الأسد والتي تلاها خطاب الرئيس أمام مجلس الشعب في الحادي والثلاثين من مارس من نفس العام، تحدث فيه عن إصلاحات ومحاسبة المسؤولين عن قتل المواطنين،¹ وأعلن عن تشكيل حكومة جديدة لم تختلف في تركيبها وتكوينها عن الحكومات السابقة. لقد كان لتدخل الجيش السوري في أعمال القمع الأثر الكبير في زيادة حدة هذه التظاهرات، ففي 25 أبريل 2011م اجتاح الجيش السوري درعا ودوما وبنياس وحمص وادلب واللاذقية،

ما دفع بعدد كبير من المواطنين للنزوح إلى تركيا والدول المجاورة. واستمرت هذه الأعمال لتصل في الأعوام اللاحقة إلى استخدام السلاح الكيميائي لقتل المواطنين والمنتظاهرين، إضافة إلى دخول عدد من التنظيمات الإرهابية للقتال في سوريا كجبهة النصرة المحسوبة على تنظيم القاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).² مع أنّ النظام لم يعترف باستخدام هذه الأسلحة، إلا أنّ التحقيقات الدولية قد بيّنت أنه المسؤول عن هذه الهجمات. وفي قراءة تحليلية لأهم أسباب الثورة يتضح أنّها ترجع في الأساس إلى عوامل اقتصادية وسياسية إلى جانب عوامل كثيرة أخرى ساهمت في إشعال لهيب الثورة.

الأسباب الاقتصادية للثورة:

مع وصول "بشار الأسد" إلى الحكم استجلب عدد من خبراء الاقتصاد اللذين كانوا يعملون في الخارج. وبدأت سلسلة نقاشات حول الطريقة الأنسب لتكييف الاقتصاد السوري مع الاقتصاديات الإقليمية والعالمية في ظلّ العولمة التي فرضتها التطور التكنولوجي في الآونة الأخيرة. وقد ظهر تياران لكل منهما رؤيته في التحوّل الاقتصادي، الأول دعا إلى التنمية وضرورة المحافظة على القطاع العام،

¹ فهد معين، الثورة السورية قصة بداية، سوريا: مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2014. <http://www.omrandirasat.org> تم الاسترجاع/ 2-12-2014.

² دك، أسباب وأهداف تجمع القاعدة في سوريا، سوريا: مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، آب- 2012، ص. 1-7. <http://alkashif.org/html/10/02/4/196.pdf> تم الاسترجاع: 2-12-2014

والثاني لا يبالي بالإصلاح الداخلي بلّ دعا إلى تطوير الاقتصاد الخارجي وإنشاء علاقات مع الدول الأخرى. وفي النهاية تمّ إقرار نظام السوق الاجتماعي كطريق للتحوّل الاقتصادي في المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث عام 2005 م.¹ لكن النتائج التطبيقية لهذا المؤتمر جاءت مخالفة للمسمّى، حيث أهملت عملية التنمية في القطاعات العامة وزاد الفساد الإداري في أنظمة الدولة والذي صبّ في مصلحة الفئة البرجوازية في المجتمع السوري، وأدى إلى تهيش عامة الشعب، بلّ وتضررت الطبقة الوسطى، وتراجع حجم الدعم والخدمات التي تقدمها الدولة. أما فيما يخصّ القطاع الزراعي فقد قامت الحكومة برفع أسعار الوقود، الأمر الذي أدى إلى عدم قدرة الكثير من الفلاحين على فلاحه أرضهم. فوصلت سوريا إلى مرحلة لم تعدّ قادرة فيها على تلبية احتياجاتها من القمح ومن المواد الأساسية الأخرى، ودفعها ذلك إلى اللجوء لاستيراد هذه المنتجات لأول مرّة منذ أن رفعت شعار الاكتفاء الذاتي في العقود السابقة.

الأسباب السياسية للثورة:

إنّ أحد الأسباب لثورة الشعوب تعود للأحوال السياسية الموجودة في البلاد. ومن الواضح أنّ الحياة السياسية في سوريا كانت تسودها العديد من المشاكل أهمها:²

- 1- حالة الطوارئ المفروضة منذ عام 1963م، أي بعد تولّي حزب البعث الحكم في سوريا.
- 2- غياب الديمقراطية والحريات العامة، وغياب قانون التنظيم الحزبي في الدولة السورية.
- 3- غياب الانتخابات العادلة، واقتصارها على تصديق انتخابي يضمن عدم وجود مرشحين آخرين إلى جانب المرشح الذي يختاره حزب البعث.

¹ المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق: صحيفة تشرين، 2014-11-29
<http://tishreen.news.sy/tishreen/public/read/38769>

² مالك جربا، الثورة السورية الأسباب، التطورات، التداعيات، الآفاق المستقبلية، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2012، ص.3-11.
<http://www.slideshare.net/shamkarama/ss-10683741>

4- سيطرة السلطة التنفيذية على مسار العملية السياسية وعلى السلطتين التشريعية والقضائية،
وحصر كل السلطات بيد الرئيس.

5- تجدد النخب السياسية، فالمنصب السياسي أو الإداري هو للشخص نفسه ما دام موالٍ للرئيس.

ثانياً: القوى المعارضة لنظام بشار الأسد

أبرزت الثورة السورية خريطة جديدة من تحالفات المعارضة في الداخل والخارج السوري، وتمثل ذلك في تشكيل شبكات ولجان تنسيق في مختلف أحياء المدن والقرى السورية من أهمها:

1- التنسيقيات:

نتجت لضعف الأحزاب السياسية المعارضة للنظام قبل الثورة، ولعدم وجود خبرة سياسية لدى قوى الثورة خاصة الشباب منهم. وقد أخذت الطابع السياسي بتوزعها على كافة محافظات البلاد. لكن مع زيادة الاضطرابات في البلد، وسقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى ظهرت قيادة مركزية موحدة تعمل على تنظيم صفوف الثوار في كافة مناطق الاحتجاجات.

2- هيئة التنسيق الوطني لقوى المعارضة السورية:

نشأت في عام 2011م كتجمّع لمجموعة من الأحزاب غير القانونية في فترة ما قبل الثورة، وتضمّ حزب الاتحاد الاشتراكي الناصري، والتجمع اليساري الماركسي، وحزب الاتحاد الديمقراطي، وحزب اليسار الكردي، وغيرهم من الأحزاب الأخرى المعارضة للنظام قبل الثورة. وقد اتسم خطابها السياسي بالاقتراب إلى حدّ كبير مع الرؤية الثورية للمتظاهرين.¹

¹ حنفي عبد العظيم ، الثورة والشرعية عوامل سقوط النظام السياسي السوري،(منشورات أي-كتب،) 2011 ط1.

3- الأحزاب الصغيرة:

بدأت بالتشكل كقوى سياسية معارضة مثل حركة معاً، وتيار بناء الدولة السورية وائتلاف اليسار السوري وغيرها. وقد تميّزت هذه الحركات بعدم الفاعلية ومحدودية التأثير في المشهد السياسي العام.

1- الائتلاف الوطني السوري:

منذ انطلاق الثورة كانت المعارضة السورية تعاني من التشتت والفراغ في القيادة. وجرى انتظار مبادرة بتشكيل هيئة قيادية للثورة من قادة الأحزاب ومن المثقفين السوريين. وبذلك تشكل المجلس الوطني السوري إثر اجتماع للمعارضين في اسطنبول، في الثاني من أكتوبر عام 2011 م، أي بعد سبعة أشهر من الثورة. تضمنت الوثيقة التأسيسية الدعوة إلى إسقاط النظام، وبناء دولة مدنية ديمقراطية. وحُظي المجلس بترحيب عربي وإقليمي وغربي على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية. بعدها أطلق رياض سيف مبادرة لجمع القوى المعارضة والقوى الثورية لفتح الطريق نحو تأسيس الائتلاف الوطني لقوى المعارضة.

في اللقاء الذي عُقد في الدوحة في الفترة ما بين 8-11 نوفمبر من عام 2012م، تمّ تأسيس هذا الائتلاف المكوّن من معظم كتّلات المعارضة السورية، إضافةً إلى قوى الحراك الثوري والمجالس المحلية في المحافظات السورية. وجرى توقيع اتفاق في الحادي عشر من تشرين الثاني عام 2012م، تضمّن رؤية للمرحلة القادمة بتشكيل حكومة مؤقتة تدير مرحلة الانتقال الديمقراطي. وقد لاقى هذا الائتلاف مساندة من عدد من الدول العربية والعالمية، إذ دعا الأمين العام للجامعة العربية الاتحاد الأوروبي للاعتراف بالائتلاف. فاستجابت كل من فرنسا وتركيا وإيطاليا لهذا الطلب واعترفت به كمثل شرعي بديل للشعب السوري.

2- الجيش السوري الحرّ:

تأسس الجيش السوري الحرّ في تموز 2011م بعد إعلان رياض الأسد عن كيان يضمّ العسكريين المنشقين عن الجيش النظامي. وهدفه حماية المتظاهرين، وتأمين المناطق التي غاب فيها الأمن. وجرّت معارك مسلّحة بين الجيش الحرّ وقوات النظام في عدة مناطق من المحافظات السورية.¹

السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا بعد الربيع العربي

بعد انتخاب القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الصيني واختيار "شي جين بينغ Xi Jinping" رئيساً جديداً للصين، نشطت بكين في حملة دبلوماسية سخّرت لها الخارجية الصينية عدداً ضخماً من الأطرّ، والمؤسسات الأكاديمية والسياسية والاجتماعية لتوضيح موقفها من الربيع العربي، ومما يجري في سوريا. وجاء هذا الموقف بعد استعمالها الفيتو 4 مرات لمواجهة قرارات تدين نظام "بشار الأسد". ومن المعروف أنّ الصين لم تستخدم حقّ النقذ إلاّ في حالات قليلة، حيث استخدمته عام 1971م لإعاقعة عضوية منغوليا في الأمم المتحدة، وفي عام 1972م لإعاقعة عضوية بنغلادش في الأمم المتحدة، وفي عام 1997م لإعاقعة إرسال 155 مراقباً من مراقبي الأمم المتحدة إلى غواتيمالا، وفي عام 1999م لإعاقعة تمديد تفويض قوات الأمم المتحدة الوقائية في مقدونيا.² وقد فهم هذا الأمر عربياً على أنّ الفيتو الصيني في سوريا هو دعم لحكومة الأسد وبالتالي فإنّ تحركاتها الدبلوماسية كانت في إطار مساعيها لتوضيح مواقفها.

¹ شمس الدين الكيلاني، عام على تأسيس الائتلاف الوطني السوري بين رهانات الولادة وعسر المهمة، القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير-2014. ص. 8-12.
<http://www.dohainstitute.org/file/Get/56606ba0-93ad-4f3a-846f-a1ef2c26afd1.pdf> تم الاسترجاع: 20-11-2014

² د.ك، حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي، طهران: جمعية الإمام المهدي الخيرية، 2008.
http://www.jalmahdi.com/uploads/9325_8903_2686.pdf تم الاسترجاع: 20-9-2014

أوفدت بكين لهذه الغاية عدة وفود إلى أكثر من بلد عربي. كما حرصت على استقبال أعداد متزايدة من الوفود العربية لتشرح لهم رؤيتها وتقديرها لواقع سوريا والعرب. فلم يعدّ خفياً توجّس الصين من الربيع العربي وتداعياته الإقليمية والدولية، ما جعلها تُدرّج هذا الملف ضمن استراتيجيتها المتبعة في التعامل مع الدول الإقليمية والعالمية والإسلام السياسي.¹

إنّ المسؤولين الصينيين يصفون الثورات العربية بأنها اضطرابات. ويقولون أنّ أسبابها الحقيقية عوامل داخلية اجتماعية وأخرى اقتصادية أكثر منها سياسية، مثل بطء التنمية الاقتصادية في مقابل النمو السكاني السريع وارتفاع معدلات البطالة وانتشار الفساد، إضافةً إلى بطء عملية التحوّل أو التغيير الديمقراطي.² في مقابل تشديدهم على حق سوريا والعرب في تقرير الشكل الديمقراطي الذي يريدونه ونوع التنمية التي يرغبونها.

في الجانب السياسي للثورات تتجه الدوائر الأكاديمية والبحثية ذات العلاقة بصناعة القرار الصيني، أو القريبة منه لتكون أكثر حرية في التعبير عن معتقداتها. فهي تصفّ العرب بالتناقض، وأنهم بدلاً من أن يواجهوا المشاكل الاجتماعية من بطالة وفساد وإحلال الديمقراطية، أدخلوا بلدانهم في فوضى واضطرابات تحت عنوان ثورة.³ وربما لهذا لم يكن غريباً أنّ ينحو موقف الصين من الثورة السورية إلى مزيد من التشدد، خاصةً بعد تحوّلها إلى نقطة نزاع مسلّح بين الدولة ومسلّحين معارضين تعتبر بعضهم متطرفاً يسعى إلى إقامة دولة الخلافة، خصوصاً وأنّ بعض التقارير أظهرت أنّ متشددين صينيين من قومية الايغور تلقوا تدريباً على يدّ مسلحي الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)

¹ شفيق شقير، بعد الفيتو القيادة الصينية الجديدة ودبلوماسية التفسير، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 10-ابريل-2013.

² محمد نعمان جلال، "الثورات العربية بين الرؤية الاستراتيجية والمراهقة الفكرية"، البحرين: الوسيط البحرينية، 12-مارس-2011.

³ جهاديون عائدون من سوريا: أكثر من 150 قتيلًا في الصين، شبكة فولتير الإخبارية، فرنسا، 20-11-2014.

<http://www.voltairenet.org/article161183.html>

لتنفيذ أعمال إرهابية في الداخل الصيني، إضافةً إلى وجود جبهة النصرة المحسوبة على تنظيم القاعدة الإرهابي.

لكن بكين في الوقت نفسه لا تريد أن تثير ضدها تحقّط الدول العربية المؤيدة للثورة وتخشى من أن تصبح شعوب المنطقة معادية لها. ويبدو أنّ الموازنة التي تتبعها الصين في سياستها الخارجية للبحث عن مصلحتها جعلتها تستخدم حقّ النقد الفيتو للمرة الأولى في تشرين الثاني عام 2011م، والثانية في الرابع من شباط عام 2012م للاعتراض على مشروع القرار العربي الأوروبي الذي دعا لتتحي الرئيس السوري "بشار الأسد" عن السلطة وتسليمها إلى نائبه.¹ بررت الصين هذا بأنّ التدخل الغربي في ليبيا وأفغانستان والعراق كشف عن المخاطر التي يمكن أن يسببها تغيير الأنظمة بالقوة، مستدلّة على أنّ الحرب في بلدان الثورات أدّت إلى وقوع كوارث إنسانية مؤلمة تتمثل في استمرار معاناة شعوب البلدان التي تغيرت فيها الأنظمة بالقوة حتى يومنا هذا من خلال الهجمات والتفجيرات شبه اليومية. يضيف الصينيون أنّ استخدام بلادهم لحق الفيتو مع روسيا، لا يعني تأييداً لنظام الرئيس "بشار الأسد" إنما محاولة للتوصّل إلى حلّ وسط بين النظام الحاكم وقوى المعارضة؛ لتجنب الشعب السوري العنف والحرب الأهلية، في ظلّ المبادئ التي تؤمن بها الصين بأنّ العنف لا يولّد إلاّ العنف.² عقب قرار الجامعة العربية بسحب مراقبيها من سوريا، وتعيين الأمين العام السابق للأمم المتحدة (كوفي عنان) مبعوثاً مشتركاً بين الجامعة العربية والأمم المتحدة إلى سوريا، أصدر مجلس الأمن أول قرار له بخصوص الأزمة السورية حمل رقم (2042) بمباركة صينية. صدر هذا القرار بموجب الفصل السادس، ولم يفوض المراقبون في سوريا مهاماً سوى المراقبة ولم تُعط لهم أي صلاحية في استخدام القوة لحماية المدنيين، بلّ نيّط بالدولة السورية مسؤولية تأمين كل ذلك. وهو

¹ كيف أثر الربيع العربي على سياسة الصين الخارجية، سوريا: موقع راقب الإلكتروني. <http://watchinfo.org> تم الاسترجاع: 21014-11-17.

² مرجع سبق ذكره، كيف أثر الربيع العربي على سياسة الصين الخارجية.

اعتراف صريح وواضح وإقرار من جميع الموقعين على القرار بأنّ الحكومة السورية ما زالت صاحبة السيادة على أرضها.¹ كما رحبت الصين بتبني مجلس الامن لقرار (2139) الذي قدمته الأردن ولكسمبورج وأستراليا لتحسين الأوضاع الإنسانية في سوريا،² والقاضي بمطالبة كافة الأطراف في سوريا بالسماح بوصول سريع وآمن وبدون عائق للوكالات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة من أجل ضمان وصول المساعدات الإنسانية للمحتاجين.

في إطار سعي الصين لحلّ الأزمة السورية بشكل سلمي، أعلن عدد من المسؤولين الصينيين دعمهم لجهود (كوفي عنان)* والتي احتوت على ست نقاط تتمثل النقاط الأساسية لمؤتمر جنيف الأول، وتتلخص في التالي:³

1. وضع حلول سياسية داخلية تأخذ بعين الاعتبار تطلعات الشعب السوري.
2. وقف جميع أطراف النزاع لأعمال العنف المسلحة بكل أشكالها.
3. تأمين دخول المساعدات الإنسانية للمناطق المتضررة.
4. إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.
5. حرية حركة الصحافيين في البلاد وتأمين سير عملهم.
6. احترام حرية التجمعات والحق في إجراء المظاهرات السلمية.

¹ د.ك، قرار مجلس الأمن رقم 2042، لبنان: مركز كارنيغي لدراسات الشرق الأوسط، 14-ابريل-2014. <http://www.carnegie-mec.org/2012/04/14/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%82%D9%85-2042/f05w>

² مجلس الأمن يتبنى قرار حول سوريا، الأردن: جريدة الغد الأردنية. <http://www.alghad.com> تم الاسترجاع: 2014-11-19. * دبلوماسي من عانا شغل منصب الأمين العام للأمم المتحدة في الفترة ما بين 1997-2006، وبعد فشل المبادرة العربية في إيجاد تسوية للأزمة السورية. تم تعيينه كمبعوث مشترك للأمم المتحدة والدول العربية، لكنه استقال من منصبه بعد أن اتهم المجتمع الدولي بعدم تقديم المساعدة اللازمة لحل الأزمة السورية.

³ النقاط الستة لخطة كوفي عنان في سوريا، جريدة مواطن برس، 28- مارس-2012. <http://www.mwatanpress.com/features/1348-2012-03-28-04-32-21.html> تم الاسترجاع: 2014-11-29

لكنّ هذه الخطة فشلت، وفي هذا الخصوص قدّم عنان استقالته مشيراً أنه لم يحصل على الدعم المطلوب من المجتمع الدولي، مشيراً أيضاً إلى أنّ عدم وجود التوافق بين أعضاء مجلس الأمن الدولي حال دون خطته للسلام.

على إثر ذلك تمّ تعيين (الأخضر الإبراهيمي)* ليحلّ محلّ "كوفي عنان"، لتتوافق آراؤه مع الصين. التي تقدمت بأربعة مقترحات لوقف العنف في سوريا، بالشراكة مع المبعوث الأممي الأخضر الإبراهيمي تتمثل في:¹

1. عمل الأطراف المعنية بالأزمة في سوريا على وقف العنف بصورة تدريجية، والتعاون مع جهود الإبراهيمي، على أن يتم وقف إطلاق النار على مراحل في منطقة تلو الأخرى.

2. يختار كل طرف مفوضين عنه يتولون معاً بمساعدة الإبراهيمي ومنظمات المجتمع الدولي المعنية وضع خارطة طريق للانتقال السياسي في سوريا، عبر مشاورات مكثّفة يقوم بها مجلس انتقالي يضمّ أكبر نسبة ممكنة من الأطراف المتنازعة.

3. يدعم المجتمع الدولي جهود الإبراهيمي لإحراز تقدّم حقيقي في تنفيذ بيان مؤتمر جنيف، والخطة السداسية للمبعوث الخاص السابق (عنان)، وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة بالأزمة السورية.

4. دعوة جميع الأطراف المعنية بالأزمة السورية، إلى اتخاذ خطوات عملية ملموسة على أرض

الواقع لتخفيف المعاناة الإنسانية في سوريا.

* ولد الأخضر الإبراهيمي في عام 1934 في بلدة عزيزة بجنوب الجزائر، ودرس القانون والعلوم السياسية في الجزائر وفرنسا. سياسي ودبلوماسي جزائري تقلد عديد المناصب في بلاده وفي الأمم المتحدة. عمل وزيرا للخارجية الجزائرية بين عامي 1991-1993، كما عين مبعوثاً للأمم المتحدة في أفغانستان والعراق وسوريا بعد استقالة كوفي عنان من منصبه. (مركز الجزيرة للدراسات، 2014-11-22)

<http://www.aljazeera.net/news/pages/8602b00ed1d44547b6c82ab87914b2db>

¹ أعضاء على دور الدبلوماسية الصينية لحل قضايا الشرق الأوسط، الصين: أخبار نيوز، 24-ديسمبر-2012. http://arabic.news.cn/china/2013-12/24/c_132993125.htm تم الاسترجاع: 2014-11-20

بعد بضعة أشهر من استخدامها الفيتو السابق، اعترضت الصين على المشروع البريطاني - الفرنسي الذي ينصّ على تطبيق الفصل السابع في سوريا. وكانت الدول الغربية تهدف من خلاله إلى فرض عقوبات اقتصادية دون العسكرية على النظام السوري ليعدل عن انتهاك حقوق الإنسان في بلاده، وذلك بعد أن ازدادت أعمال العنف في سوريا.¹ في إطار مساعي الولايات المتحدة والغرب لنهي الصين عن استخدام حقّ النقد الفيتو من خلال تقديم ضمانات سياسية؛ أنّ القرار لن يمهد لاستخدام القوة العسكرية في سوريا. قام الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" بزيارة الصين للتفاوض مع المسؤولين لاتخاذ موقف أكثر حسماً ضد النظام في سوريا، حيث أكدّ الجانب الصيني على ضرورة المشاورة بين أعضاء مجلس الأمن قبل اللجوء إلى استخدام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة في سوريا.² كان لمبدأ التوازن الذي يحكم سياستها الخارجية الدور الذي دفعها إلى استقبال وفد من المعارضة السورية لتبدو في موقع المحايد، حيث أعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية أنّ وفداً من الائتلاف الوطني السوري المعارض يتكون من 6 أعضاء على رأسهم رئيس الائتلاف "أحمد الجربا" سيزور بكين لتبادل وجهات النظر حول الوضع السوري في محاولة للوصول إلى مواقف متقاربة، والبدء في التحضير لمؤتمر جنيف ثلاثة.³ ومن المعروف أنّ الصين كانت قد دعمت العديد من المؤتمرات التي ترعى مفاوضات بين النظام السوري والمعارضة، كمؤتمر جنيف الأول والثاني. فضلاً عن ذلك أعلنت الصين استعدادها للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في السعي لحلّ هذه الأزمة بالطريقة السلمية مع التأكيد في الوقت نفسه على رفضها التام للتدخل العسكري في سوريا.⁴

¹ فيتو صيني روسي ثالث يحبط قرار بشأن سوريا، السعودية: اخباء العربية، 19- يوليو-2012.

² عادل الطريفي، هل تؤيد الصين حقاً بشار الأسد، لندن: مجلة العرب الدولية، 16-فبراير-2012.

³ الصين تدعو إلى رد إيجابي ومعتدل بشأن سوريا، الصين: شبكة الصين الإخبارية، 12-9-2013.

⁴ رفض صيني روسي للتدخل العسكري في سوريا، قطر: الجزيرة نت، 30- مايو-2012.

⁴ <http://www.aljazeera.net> تم الاسترجاع: 2014-11-19

بينما كان الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) والصيني (شي جين بينغ) على متن سفينة حربية يصدران الأمر بالشروع في المناورات البحرية المشتركة، كان مندوبا الرئيسين في مجلس الأمن الدولي يستخدمان الفيتو الرابع ليعبر البلدان عن رفضهما مشروع إحالة الملف السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية، بعد أن اتهمت عدة جهات غربية النظام السوري باستخدام السلاح الكيماوي ضد المدنيين في سوريا.¹ على إثر ذلك أعلن النائب الصيني لدى الأمم المتحدة أنّ استخدام الصين حقّ النقد يستند الى ثلاثة أسباب رئيسية:²

1. ينبغي احترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لها، وأنّ هذا مبدأ من المبادئ الخمسة الصينية الثابتة، خاصةً وأنّ الصين تعدّ ما يجري في سوريا حرب أهلية ولا يوجد انتهاكات لحقوق الإنسان. فضلاً عن أنّ الصين ليست طرفاً في ميثاق روما ولم توقع عليه لوجود تحفظات عليها.

2. إحالة الملف السوري للمحكمة الجنائية الدولية في ظلّ الوضع الراهن لا يمكن أن يعزز الثقة بين الأطراف في سوريا، ولا يسهم في التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة. بل يعوّق جهود الأسرة الدولية لحلّ الأزمة بالطرق السلمية. في حين أنّه من الضروري أن تقوم الحكومة السورية، وكل الأطراف السورية المعنية بوقف الصراع، والبدء في مفاوضات حول الوضع الراهن. بل وشددت على ضرورة دعم الجهود الدولية الهادفة لتدمير السلاح الكيماوي في سوريا، وذلك ضمن توجيهها الرئيس لسحب أسلحة الدمار الشامل من المناطق العربية والعالم. من جهة أخرى فقد عارضت الصين استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا بغض النظر عن الجهة المستخدمة لها. وبالتالي فقد سعت الصين إلى دعم الجهود الأمريكية الروسية والتي وافق عليها "بشار

¹ الفيتو رقم 4- تحالف عالمي جديد، سوريا: موقع الأخبار، 23-مايو-2014.

² فيتو صيني-روسي رابع يعد الانقسام إلى مجلس الأمن، لندن: جريدة الحياة، 23-مايو-2014.

² فيتو صيني-روسي رابع يعد الانقسام إلى مجلس الأمن، لندن: جريدة الحياة، 23-مايو-2014.

الأسد" بإرسال مراقبين إلى سوريا لتدمير هذه الأسلحة. وفي هذا الإطار واستجابة مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2118)، أرسلت الصين سفينة حربية للمشاركة في حماية سفينة أمريكية جهزت خصيصاً لتدمير ترسانة الأسلحة الكيماوية السورية بعد أن قررت سوريا تسليم مواد سامة قاتلة تستخدم في تصنيع السارين وغاز إكس ومواد قاتلة أخرى.

3. إنَّ هنالك انقسام ما بين أعضاء مجلس الأمن الدولي، فمن الأولى أن تتوحد الآراء بين الأعضاء من خلال الاستمرار في المشاورات قبل اتخاذ أي قرار بهذا الخصوص.

فيما يخصّ المؤتمرات المعقودة لإيجاد حلول سلمية للأزمة السورية، كانت ردود فعل الصين متضاربة نوعاً ما. ففي حين أنّها دعمت مؤتمر جنيف الأول والثاني، أعلنت عن عدم مشاركتها في بعض من مؤتمرات أصدقاء سوريا الذي شكّله تجمّع أصدقاء الشعب السوري والذي يعدّ تجمّعاً لما يقارب 100 دولة عربية وعالمية، تشكّل بعد أن قامت الصين وروسيا باستخدام الفيتو في وجه قرارات التدخل في سوريا. يرى هذا التجمع أنّ الحلّ السياسي في سوريا يكمن في رحيل الأسد عن السلطة، وقد عقد هذا التجمّع عدداً من اللقاءات كان أهمها: مؤتمر تونس في شباط عام 2012م. ونتج عنه عدة قرارات أهمها: الدعوة إلى وقف كافة أعمال العنف في سوريا، والدعوة لفرص المزيد من العقوبات على النظام السوري، والمطالبة بالسماح لمنظمات الإغاثة الإنسانية بتقديم المعونة للمحافظات السورية المتضررة، والدعوة إلى استبعاد خيار التدخل العسكري في سوريا.¹ لكن موقف الصين كان واضحاً منذ البداية حيث قاطعت هذا المؤتمر وأبدت تأييدها لدعوة الأطراف الدولية إلى عدم التدخل العسكري في سوريا

(1) فيتو صيني روسي رابع يعيد الانقسام إلى مجلس الأمن، مرجع سابق.

¹ فيتو صيني روسي رابع يعيد الانقسام إلى مجلس الأمن، مرجع سابق.

بعد فشل المؤتمر الأول حثت الصين جميع الأطراف الدولية والإقليمية على الإسراع في عقد جولة أخرى من المفاوضات تمثلت في مؤتمر جنيف 2. الذي شهد خلافاً بين أعضاء دول الأمم المتحدة حول مشاركة إيران في هذا المؤتمر. في حين رفضت بعض الدول الغربية والعربية والمعارضة السورية مشاركة إيران في هذا المؤتمر أكدت الصين وروسيا على أنّ الجهود المبذولة للتسوية السلمية للأزمة السورية لن تكتمل بدون مشاركة الدول الإقليمية الفعالة مثل إيران.¹ وقد دعمت الصين هذا المؤتمر الداعي إلى إخلاء سوريا من الأسلحة الكيميائية وفقاً للقرار رقم (2118) الذي اتخذته مجلس الأمن الدولي بالإجماع. في إطار المساعي لحلّ الأزمة السورية شاركت الصين في العديد من المؤتمرات التي عقدها الدول المانحة لسوريا كان آخرها في الكويت في يناير عام 2014م، وقد قدمت الصين للمرة الأولى منذ بدء الأزمة السورية مليون دولار أمريكي لإيواء اللاجئين السوريين في البلدان المجاورة.²

إنّ الأزمة السورية أخذت منحى آخر بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الحرب على التنظيمات الإرهابية في سوريا، كتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وذلك بعد الممارسات الإرهابية من قتل وتدمير، وتعذيب قامت به أفراد هذه الجماعة لعدد من المدنيين في المدن السورية. فضلاً عن إعدام صحفي أمريكي في وقت سابق،³ إلى جانب سيطرة التنظيم على مناطق نفطية مهمة في سوريا وانتقال الصراع إلى دول مجاورة مثل العراق الذي يعدّ مهماً للجانب الصيني لتوريده كميات كبيرة من النفط إلى الصين. إنّ ما يهم في هذا المجال هو تعامل الصين في سياستها الخارجية مع الإعلان عن هذه الحرب. فقد كان موقف الصين رافضاً للاشتراك فيها، وذلك كما ورد في تصريحات عدد من كبار

¹ عقدة الأسد وقرارات جامعة الدول العربية وجنيف 1، مرجع سابق.

² موقع المؤتمر الدولي للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سوريا، الكويت.

³ <http://www.da.gov.kw/ara/conference-for-syria-2014/first-syrian-summit.php> تم الاسترجاع: 25-11-2014.

³ عبيدلي العبيدلي، لماذا الحرب على داعش، عمان: جريدة الرؤية، 29-سبتمبر-2014. تم الاسترجاع: 25-11-2014.

المسؤولين في الحزب الشيوعي الصيني، ويرجع الصينيون موقفهم الراض لإعلان الحرب إلى ثلاث أسباب رئيسة هي:¹

1- فقدان الثقة في نوايا واشنطن الراغبة في إسقاط النظام السوري من خلال توجيه ضربة عسكرية في ظاهرها تبدو ضدّ تنظيم إرهابي، لكنها في طياتها تستهدف سوريا والنظام السوري.

2- قلة القدرات العسكرية الصينية بالمنطقة ما دفعها لرفض الاشتراك في التحالف الغربي الأمريكي لشنّ هجمات على تنظيم الدولة.

3- مساعي العملاق الصيني للحفاظ على مصادرها النفطية في المنطقة دون توتر، فلا شك أنّ هذه الحرب ستعيق من إمكانية وصول النفط إلى الأراضي الصينية بطريقة آمنة.

نهاية القول أنّ الصين تسعى إلى وجود استقرار سياسي داخل سوريا من خلال التوصل إلى حلّ سلمي للأزمة، للمحافظة على مصالحها الاقتصادية التي تتطلب وجود هذا الاستقرار. والصين ترفض أي حرب على هذه التنظيمات لتوجسها بأن تكون هذه الحرب بداية مشروع للتدخل العسكري في سوريا على غرار ما حصل في ليبيا، الأمر الذي قد يؤدي إلى سيطرة الغرب على سوريا، وفقدان سوريا لمنطقة استراتيجية مهمة.

¹ ثلاث أسباب لعدم مشاركة الصين في الحرب على داعش، القاهرة: جريدة الشروق 27-سبتمبر-2014. <http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=27092014&id=a30ca4e8-5cf2-40b0-9989-178cd7b44a31> تم الاسترجاع: 25-11-

الخاتمة:

من خلال استعراض السياسة الخارجية الصينية تجاه سوريا في فترات عديدة، اتضح أنّ الصين تعاملت معها في البداية وفقاً لأيدولوجية محددة اتبعتها في المرحلة الأولى من عمرها. فكانت الصين الداعم لها في قضايا رئيسية متمثلة في الصراع العربي الإسرائيلي. فهاتان البلدان تنتميان إلى الحضارة الشرقية، والعلاقات بين الطرفين امتدت إلى أكثر من 1000 عام، مبتدئة بطريق الحرير التجارية التي شكّلت أول تواصل بين البلدين، انتهاءً بوقوف الصين إلى جانب النظام السوري إبان فترة الثورات العربية. لكن النهج البراغماتي الذي تتعامل فيه الصين مع الدول الأخرى جعلها تتغير من سياستها الخارجية تجاه سوري. وذلك لحاجتها إلى التنوع في مصادرها للحصول على النفط، وعلى تكنولوجيا المعلومات اللازمة لمواكبة النهوض الاقتصادي الذي اتبعته في أواخر السبعينات. أما في فترة التسعينات فقد ازدادت حاجتها إلى النفط. لذلك اتبعت أسلوب التعاون مع جميع الدول لتحقيق هذه الغاية. ولو نظرنا إلى خطط سير السياسة الخارجية لوجدنا أنها تسير في منحنيين: الأول اقتصادي تهدف من خلاله اتباع سياسة خارجية قائمة على التعاون لتحقيق تنمية مستدامة من خلال إصلاحات اقتصادية داخلية. لكن هذا الإصلاح ولّد توترات، وعدم استقرار في العالم لأنّ صعود الصين وانفتاحها الاقتصادي جعلها تصعد لتتبوأ مكانة دولية مرموقة منافسة للقطب الأوحّد في النظام العالمي. خصوصاً وأنّ الصين تملك الكمّ البشري، والقدرات العسكرية التي تجعلها قادرة على منافسة هذا القطب. أما الاتجاه الآخر في سير السياسة الخارجية الصينية، فيكمن في تحقيق أمنها. فالتوجهات الأمنية تؤكد اهتمام الصين بتحقيق الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط والعالم. لكن الصين ما زالت تعدّ نفسها من دول العالم الثالث، ولا تسعى إلى أخذ المكانة العالمية كقطب مسيطر، بلّ تسعى في البداية إلى أن تكون قوة إقليمية فعّالة للانطلاق نحو العالمية. وقد

استخلص الباحث عدد من النتائج المهمة من خلال دراسة سياسة الصين الخارجية نحو سوريا من أهمها:

1- إنَّ التحوّلات التي طرأت على السياسة الخارجية الصينية في أعوام الربيع العربي هي تحوّلات تكتيكية وليست جذرية، حيث- كما دائماً- اتجهت الصين نحو تحقيق أمنها النفطي وزيادة التبادل التجاري مع الدول الأخرى. ما يستوجب العمل على بناء عالم متعدد الأقطاب يسوده الأمن والمصالح المتبادلة، وهو ما يتماشى والنوع الأول من أشكال التغيّر في السياسة الخارجية لدى العالم "شارلز هيرمان" ويقصد بذلك بقاء الأدوات والأهداف ثابتة مع التغير في الاستراتيجيات المتبعة.

2- إنَّ الصين لا تهتم بزوال أو بقاء النظام السوري ما دام يحقق مصلحتها، كونه خط الدفاع الأول لعدد من الدول الحليفة كإيران وروسيا. وتخشى الصين من أن يكون زوال نظام "بشار الأسد" بداية لسيطرة الغرب على منطقة الشرق الأوسط. ومن هنا فإنَّ الصين ستكون على استعداد للتدخل بشتّى الطرق في سوريا دفاعاً عن مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، لكن في حال انتهت هذه المصالح فالصين يمكن أن ستتخلى عن النظام السوري.

3- إنَّ الصين قد تدخلت في الثورة السورية لعدّة أسباب تحكم علاقتها الدولية بالولايات المتحدة الأمريكية. فهي ترفض السيطرة الأمريكية على موارد الطاقة في مناطق مختلفة من العالم كالقطب الشمالي. فوجدت من الثورة السورية فرصة لمنع الولايات المتحدة من الاستمرار في مثل تلك الأعمال.

4- إنَّ مشروع ربط البحار الخمسة توافق وطموحات الصين الخارجية في المجال الاقتصادي، لذلك قد ساندت "بشار الأسد" خوفاً من أن يؤدي زوال نظامه إلى إفراز نظام موالٍ للغرب.

5- إنَّ التقارب الصيني الروسي من خلال المصالح الاقتصادية المشتركة والأطرّ التنظيمية الحاكمة لعلاقات الطرفين جعلت من الصين تتخذ مواقف ايجابية في علاقتها مع نظام حزب البعث الحاكم في سوريا.

6- إنَّ السياسة الخارجية تجاه منطقة الشرق الأوسط وسوريا في الفترات الأولى من حياة جمهورية الصين الشعبية كانت وفقاً للمبدأ الأيدولوجي، لكنها تغيّرت بعد فترة السبعينات لتصبح براغماتية بشكل صريح.

7- إنَّ العقلية الصينية دائمة الشكّ بمحاولة الغرب تقويضها من خلال منع وصول إمدادات النفط من المناطق المختلفة إليها. لذلك سعّت الصين من خلال حقّ النقد الفيتو إلى الوقوف أمام المشاريع الغربية للتدخّل في سوريا.

8- إنَّ الصراع في سوريا هو مؤشر على حرب باردة جديدة بين الشرق ممثلة بالصين وروسيا والغرب مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية. وستكون هذه الحرب محدداً أساسياً لصعود وهبوط الأقطاب الدولية من خلال ربح أو خسارة منطقة استراتيجية مثل الشرق الأوسط.

9- ستتجه الصين في الفترة اللاحقة إلى الانخراط بشكل أكبر في المسائل العالمية. وقد بدا هذا واضحاً بعد أن وقفت موقف مساند لروسيا في محاولة الغرب للتدخل في أزمات أخرى حول العالم كالأزمة الأوكرانية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1. آغا الحسن، الصين واليابان والشرق الأوسط:، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982).
2. بهباني هشام، سياسة الصين الخارجية في العالم العربي 1955-1975، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1984)، ط1.
3. بييري هينري، الصين في طريق الاشتراكية، (سوريا: دار ابن الوليد، 1956)، ترجمة بدر الدين السباعي.
4. الحسن سعيد، العلاقات السورية الصينية: الوقائع والآفاق والمستقبل، (سوريا: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، 2006).
5. حنفي عبد العظيم، الثورة والشرعية عوامل سقوط النظام السياسي السوري، (منشورات أي-كتب، 2011)، ط1.
6. ربحان محمد، التجربة الاقتصادية الصينية وتحدياتها المستقبلية، (فلسطين: رسالة ماجستير منشورة، جامعة الأزهر-غزة 2012).
7. سليم السيد محمد، تحليل السياسة الخارجية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998)، ط2.
8. صيدم محمد، دور النفط في السياسة الخارجية الصينية، (فلسطين: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر - غزة، 2014).
9. عبد الحي وليد، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010، (الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2000)، ط1.
10. العدوانى أحمد، الغزو العراقي للكويت، (الكويت: عالم المعرفة، ع. 195، 1996).

11. العمار منعم، الصين وتطور موقفها من تجارة الأسلحة في الشرق الأوسط، (الأردن: معهد دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ع.106
12. العنزى سعاد، التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط 2001-2006، (الأردن: رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2005).
13. عياد حنان، العلاقات الصينية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة : المتغير في الموقف الأمريكي من انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية، (فلسطين: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، 2007).
14. الكايد باسل، مستقبل العلاقات العربية الصينية، (عمان: رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2008).
15. مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارة السورية، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 1999)، ط.1.
16. الوادي محمد خير، إضاءات على السياسة الصينية الخارجية، (دمشق: الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).
17. وو جاو خه وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، ترجمة عبد العزيز حمدي، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004)، ط.1.

ثانيا: الدوريات والمجلات.

1. أبو جابر كامل، "موقف الصين من بعض القضايا العربية"، دمشق: المجلة العربية للثقافة، 1999.
2. أبو طالب حسن، السياسة الصينية في الشرق الأوسط، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع. 10، 2005.
3. د.ك، أسباب وأهداف تجمع القاعدة في سوريا، سوريا: مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، آب- 2012.
4. اسماعيل حسين، الحزب الشيوعي الصيني - من الثورة إلى بناء الدولة، بكين: موقع الصين بالعربية، 15- يوليو - 2011.
5. بشير هشام، التنافس على قمة العالم: صراع القوى الكبرى على القطب الشمالي، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- أكتوبر- 2011.
6. بورشفسكايا أنا، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا، واشنطن: معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 24- يناير- 2013.
7. تشون يان شي، ذاكرة لا تنسى شو ان لاي والدول العربية، بكين: موقع الصين اليوم. 20- 11- 2014.
8. جريا مالك، الثورة السورية الأسباب، التطورات، التداعيات، الآفاق المستقبلية، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2012.
9. جلال نعمان محمد، الثورات العربية بين الرؤية الاستراتيجية والمراهقة الفكرية، البحرين: الوسيط البحرينية، 12- مارس- 2011.

- 10- جلال نعمان محمد، الصين الشعبية بعض ماوتسي تونغ- الخصائص الأيدولوجية للمجتمع الصيني قبل ماو، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- يناير - 1977.
- 11- جيان لي، تاريخ العلاقات العربية الصينية- حاضرها ومستقبلها، بكين: المركز العربي للدراسات للمعلومات، 28-12-2008.
- 12- د.ك، "الحزب الشيوعي الصيني"، بكين: المركز العربي للمعلومات، ع. 2487، 2010.
- 13- د.ك، حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي، طهران: جمعية الإمام المهدي الخيرية، 2008.
- 14- الحمراوي محمد، السياسة الخارجية الصينية بعد الحرب الباردة، بكين: المركز العربي للمعلومات، 2008.
- 15- خزار فهد، الابعاد الاستراتيجية للعلاقات الايرانية الصينية، طهران: مجلة دراسات ايرانية، ع. 15، 2012.
- 16- الدسوقي أبو بكر، "الصين والقضية الفلسطينية: الدور والفرص والقيود"، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، اكتوبر، 1998.
- 17- د.ك، دور الصين في حل الازمة العراقية هو حماية مصالحها وتحقيق الاستقرار في العراق وليس التدخل، بكين: موقع الصين اليوم، 14- يوليو- 2014.
- 18- دياب محمد، العلاقات الروسية الصينية: الغلبة للشركة الاستراتيجية. القاهرة: مجلة شؤون الشرق الأوسط، ع. 62، 1997.
- 19- رحموني خالد، الصين والصعود إلى القمة، السعودية: مركز نماء للبحوث والدراسات، 22-نوفمبر- 2012.
- 20- زرنوقة سالم صلاح، التحولات الداخلية والسياسة الخارجية، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- ابريل- 1998.

- 21- الزعبي احمد، سوريا في الاستراتيجية الصينية، الأردن: العرب اليوم، 21-9-2014.
- 22- ستيفن والت، رؤية أمريكية لخروج أمن من الشرق الأوسط، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 26-9-2014.
- 23- سلمان جابر، الصين والصراع العربي- الإسرائيلي، سوريا: مجلة الفكر السياسي، ع 24، 2006.
- 24- الشريف محمد، ما يحدث في سوريا: إلى الآن، سوريا: مركز دمشق للدراسات، 1-10-2011.
- 25- شعبي عماد، الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً، فرنسا: شبكة فولتر الإخبارية، فرنسا، 2012.
- 26- شقير شفيق، بعد الفيتو القيادة الصينية الجديدة ودبلوماسية التفسير، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 10-ابريل-2013.
- 27- صابغ يزيد، موقف الصين حيال سوريا، لبنان: مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 9-فبراير-2012.
- 28- طاهر أحمد، توازنات جديدة: مستقبل العلاقات الصينية الأمريكية، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1- يوليو، 2013.
- 29- الطريقي عادل، هل تؤيد الصين حقاً بشار الأسد، لندن: مجلة العرب الدولية، 16-فبراير-2012.
- 30- ظاهر مسعود، الحوار بين الثقافة العربية والثقافة الصينية: العلاقات العربية الصينية الواقع والآفاق والمستقبل، السعودية: المجلة العربية للثقافة، ع38.
- 31- عبد الحي وليد، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 3-ابريل-2012.

32- عبدالله سعدون عبد الصمد، الصراع على موارد الطاقة: دراسة لمقومات القوة في السلوك الدولي للصين، الأردن: مجلة دراسات شرق أوسطية، ع57.

33- عبد المحسن يحيى رباب، "الصين الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية"، بكين: المركز العربي للمعلومات، 25-5-2010.

34- عبيدلي العبيدلي، لماذا الحرب على داعش، عمان: جريدة الرؤية، 29-سبتمبر-2014.

35- د.ك، عقدة الأسد وقرارات جامعة الدول العربية وجنيف 1، السعودية: معهد العربية للدراسات، 2014.

36- د.ك، العلاقات الاقتصادية بين جمهورية الصين وسوريا، دمشق: دراسة صادرة عن غرفة تجارة دمشق، 2008.

37- د.ك، العلاقات السياسية والاقتصادية بين الصين والدول العربية، بكين: مركز دراسات الصين وآسيا، 2006.

38- علو أحمد، التحول الجيوستراتيجي الأميركي في شرق آسيا وجنوبها، لبنان: مجلة الجيش اللبناني، ع 325، تموز-2012.

39- علوش ابراهيم، نحو فهم أعمق للحسابات الروسية والصينية في معركة سوريا، دمشق: الصوت العربي الحر، 7-يوليو-2012.

40- د.ك، فلسفة الحكم في كتاب التاوتي تشينغ، بكين: مركز دراسات آسيا والصين، 2009.

41- الفيافي سالم محمد، إطلالة على البراغماتية، السعودية: صحيفة فيفاء الإلكترونية، 10-6-2014.

42- د.ك، قرار مجلس الأمن رقم 2042، لبنان: مركز كارنيغي لدراسات الشرق الأوسط، 14-ابريل-2014.

43- الكيلاني شمس الدين، عام على تأسيس الائتلاف الوطني السوري بين رهانات الولادة وعسر المهمة، القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير-2014.

44- لكريني ادريس، تحولات الصين ومستقبل النظام الدولي، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: آفاق المستقبل، مارس، 2013، ع.17.

45- اللوح دياب، موجز عن تاريخ العلاقات الفلسطينية-الصينية، فلسطين: جمعية منتدى التواصل، 2012.

46- د.ك، ما الذي يحدد الموقفان الصيني والروسي من الأزمة السورية؟، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، شباط-2012.

47- المحسن صالح عبد الكريم، البراغماتية في النهضة الصينية المعاصرة، بغداد: الحوار المتمدن، ع 3585، 23- ديسمبر-2011.

48- محمد ضياء الدين محمد، اتجاهات العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر، السعودية: شبكة ألوكة، 2001.

49- محيي الدين محمود، البراغماتي الأكبر في آسيا ونظرية لا يهم لون القط، السعودية: جريدة الشرق الأوسط، ع. 11284، 2009.

50- المسيري عبد الوهاب، الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي الصهيوني، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2-11-2006.

51- معين فهد، الثورة السورية قصة بداية، سوريا: مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2014.

52- د.ك، مكانة الصين الدولية بعد الحرب الباردة واستراتيجيتها الخارجية، بكين: المركز العربي للمعلومات، 20-مايو-2005.

53- مكليف محمد، المدرسة المثالية، فلسطين: مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان، 15. 2013. 12.

54- مكليف محمد، المدرسة الواقعية التقليدية، فلسطين: مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2013.

55- ملكاوي عصام، تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة، السودان: جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2013.

56- نايلي نبيل، الاستراتيجية الدفاعية الأمريكية الجديدة، الأردن: المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2012-1-16.

57- نبيل محمد، الصناعات العسكرية الصينية ومبيعاتها لدول الشرق الأوسط، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 1-ابريل 2000.

58- النجار السيد احمد، الإمبراطورية الأمريكية: الهيمنة الاقتصادية الآفة، القاهرة: مجلة السياسة الدولية، 9 ديسمبر 2010.

59- نرش بشار، الرؤية الاستراتيجية لربط البحار الخمسة- الواقع واحتمالات المستقبل، سوريا: مجلة المناضل، ع.349، 2011.

60- د.ك، نشاطات السيد الرئيس لعام 2010، سوريا: موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، 27-2014-10.

61- د.ك، اليوبيل الذهبي للعلاقات السورية الصينية، بكين: موقع الصين اليوم، 2014-11-17.

ثالثاً: المواقع الإخبارية.

- 1- حجم الميزان التجاري بين سورية والصين وصل في 2010 إلى أكثر من 75.16 مليار ليرة، أخبار سوريا، 23-9-2014.
- 2- الصين تدعو الولايات المتحدة إلى احترام مصالحها وانشغالها بمنطقة آسيا -المحيط الهادي، مجلة المنار، 15-11-2014.
- 3- هل تتخلى الصين عن النظام السوري؟، الجزيرة نت، 23-9-2014.
- 4- موسكو وبكين تخشيان الربيع العربي، الجزيرة نت، 26-9-2014.
- 5- حجم التجارة الخارجية للصين وصل 2.8 تريليون دولار عام 2010، موقع الصين اليوم، 27-10-2014.
- 6- العلاقات بين الصين وجامعة الدول العربية، الصين: موقع أخبار الصين، 10-5-2010.
- 7- حدث كبير في مسيرة العلاقات وبكين ترفض العقوبات العشوائية وتؤيد تفعيل دور الأمم المتحدة، صحيفة تشرين، ع 20، 11-9-2014.
- 8- زيارة الرئيس بشار الأسد لسوريا، دمشق: صحيفة تشرين عدد 8970 - 20-9-2014.
- 9- المقاربة السورية لمنطقة بحر قزوين، جريدة الجمل، سوريا 17-11-2014.
- 10- المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق: صحيفة تشرين، 29-11-2014.
- 11- جهاديون عائدون من سوريا: أكثر من 150 قتيلا في الصين، شبكة فولتير الإخبارية، فرنسا ، 20-11-2014.

- 12- كيف أثر الربيع العربي على سياسة الصين الخارجية، سوريا: موقع راقب الإلكتروني، 17-2014-11.
- 13- مجلس الأمن يتبنى قرار حول سوريا، الأردن: جريدة الغد الأردنية، 19-11-2014.
- 14- النقاط الست لخطة كوفي عنان في سوريا، جريدة مواطن برس، 28-مارس-2012.
- 15- أضواء على دور الدبلوماسية الصينية لحل قضايا الشرق الأوسط، الصين: أخبار نيوز، 24-ديسمبر-2012.
- 16- فيتو صيني روسي ثالث يحبط قرار بشأن سوريا، السعودية: اخبار العربية، 19-يوليو-2012.
- 17- الصين تدعو إلى رد إيجابي ومعقول بشأن سوريا، الصين: شبكة الصين الإخبارية، 12-9-2013.
- 18- رفض صيني روسي للتدخل العسكري في سوريا، قطر: الجزيرة نت، 30-مايو-2012.
- 19- الفيتو رقم 4- تحالف عالمي جديد، سوريا: موقع الأخبار، 23-مايو-2014.
- 20- فيتو صيني-روسي رابع يعد الانقسام إلى مجلس الأمن، لندن: جريدة الحياة، 23-مايو-2014.
- 21- انطلاق مؤتمر اصدقاء سوريا بتونس، قطر: الجزيرة نت، 24-فبراير-2014.
- 22- أصدقاء الشعب السوري، مؤتمرات وقرارات، الجزيرة نت، 7-يوليو-2012.
- 23- باريس تشهد مؤتمر أصدقاء سوريا بدون الصين وروسيا، أخبار العربية 19-11-2014.
- 24- ثلاث أسباب لعدم مشاركة الصين في الحرب على داعش، القاهرة: جريدة الشروق 27-سبتمبر-2014.

25- الدبلوماسية السورية ورؤية الربط بين البحار الخمسة، الاعتماد على محاور الرياض وأنقرة وطهران والدوحة وبغداد وبيروت وباريس، دمشق: جريدة الراي، 29- ديسمبر-2010.

رابعاً: مواقع إلكترونية متخصصة.

1- موقع جامعة الدول العربية على موقع الإنترنت:

[/http://www.arableagueonline.org/category/arab-league](http://www.arableagueonline.org/category/arab-league)

2- موقع السفارة السورية في الصين:

http://www.syreembassy.cn/ar/ansh6a_50zhounian.html

3- موقع حزب البعث العربي الاشتراكي:

<http://www.baath-party.org>

4- موقع مجلس رجال الأعمال الصيني السوري:

[/http://www.scbc.sy](http://www.scbc.sy)

5- موقع المؤتمر الدولي للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سوريا، الكويت:

<http://www.da.gov.kw/ara/conference-for-syria-2014/first-syrian-summit.php>

6- موقع مجلس الأمن على الإنترنت

[/http://www.un.org](http://www.un.org)

خامساً: المراجع باللغة الإنجليزية.

1- Abb Pascal, China's Foreign Policy Think Tanks: Changing Roles and Structural Conditions,(Germany: GIGA Research Unit: Institute of Asian Studies, No 213,2013).

2–Jackson Lind, China's Foreign policy Dilemma,(Austria: Lowy Institute for International study,2013).

3– Laub Zachar, Syria's Crisis and the Global Response, (USA: Council on Foreign Relations, 2013).

4– Zhu Liqun, China's Foreign Policy Debates, (Paris: European Union Institute for Security studies, 2010).